مجلة البحث العلمي في الآداب
(مجلة علمية محكمة)
(ISSN2356-8321)(Print)
(ISSN2356-833X) (Online)
https://jssa.journals.ekb.eg/

غياب دور رجـال الحكم والرعية في مواجهة أزمات وباء الطاعون في مصر زمـن سلاطين المماليك - دراسة تحليلية "648-923هـ/1250-1517م"

د.إيمان مصطفى عبد العظيم
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد - قسم التاريخ – كلية التربية – جامعة عين شمس
Dremqn71@gmail.com

تاريخ استقبال البحث: 2020/5/4
تاريخ قبول النشر: 2020/8/11

المستخلص :

شهدت مصر في العصر المملوكي، ألواناً عدة من الشدائد والمحن طبيعية وبشرية، على حد سواء، ومنها ما تمثل في الأزمات الطاحنة – وبخاصة الاقتصادية-، ومنها ما تمثل في الظلم والعسف وجور الحكام والولاة، أو من وقوع الكوارث الطبيعية، صور متعددة من المحن والشدائد، عاني الشعب المصري من ألوانها الكثير والكثير، ودفع وحده الثمن دون غيره. من بين هذه الكوارث الطبيعية، والأزمات الطاحنة، كان الطاعون "مرض الفناء"، حالة من حالات التأزم والمحنة في المجتمع المصري، والعدوان على المجتمع المصري، حالة قاسية، وصورة بشعة من صور الفناء والهلاك، حالة من حالات إنتشار المرض المميت، الذي يحصد أمامه الكثير، ويفنى فيه الآلاف من البشر، وتكون نهايته أو خاتمته في الفناء، وكثرة الموتى، وخلو الدور والبيوت من أهلها، وغلاء الأسعار، أو فلنقل توقف الحياة بوجه عام.عن هذه الظاهرة، مرض الفناء "اوباء لطاعون"، ستدور هذه الدراسة البحثية في محاولة للكشف عن طبيعة هذه الظاهرة، بل الكارثة الطبيعية، التي أصابت مصر في عصري سلاطين المماليك، و ُمنى بها شعبها، لسنوات عدة، وما هي أسباب حدوثها، وما هي سبل التصدي لها، وكيفية علاجها عند الدولة والشعب، والنتائج المترتبة على حدوثها، والتي كان لها أثار سيئة علي المجتمع المصري وبنائه خلال العصر المملوكي.

الكلمات المفتاحية:

الأزمة - رجال الحكم – وباء الطاعون- طرق الوقاية- المواجهة .

المقدمة:

أعلنت وسائل الإعلام عن إنتشار **فيروس وبائي** في الصين، يسمي **"فيروس كورونا"**، وما إن وصلت هذه الأخبار إلي **مصر**، حتى تواترت الأسئلة حول أسباب وجوده وأعراضه؟، وكيفية الوقاية منه؟ وسارعت **أجهزة الدولة** المختصة، ونوهت عبر وسائل الإعلام عن أخبار هذا الفيروس، **وكررت** نداءات **الإرشادات الصحية** لكيفية الوقاية منه، والحد من إنتشاره، مما دفعني للبحث تاريخياً حول الأوبئة، وأسباب وجودها، وهل سبق وتعرضت مصر لمثل هذه الأمراض الوبائية، وكيف استعدت **الدولة والرعية** لمواجهة مثل هذا المرض؟ ووقع اختياري على فترة عصر سلاطين المماليك، فعلى الرغم من **النهضة الطبية** التي شهدتها مصر وقتئذ، وبالغ عناية سلاطين المماليك للطب والأطباء، إلا أنه من **الناحية الصحية** كان الأكثر انتشاراً للأمراض، وخاصة **الأوبئة والطواعين**، ورغم **جهود الأطباء والصيادلة** المهرة في التصدي لهذه الأمراض المتوطنة والوافدة، والسعي الجاد لابتكار طرق جديدة لعلاجها، إلا أن المعاصرين، سجلوا لنا سنوات طويلة امتدت بالأوبئة والطواعين، وحصدت في الرعية والمماليك على حد سواء، وهو **ما يثير التساؤل**، ويدفع بالبحث في أسبابه وعوامل انتشاره، فلم تكن **مصر** ومنذ أقدم عصورها، موطناً لنشأة الأوبئة، إلا أنها تعرضت لانتشار أمراض عدة، كان السبب وراءها أسباب **بشرية**، وأخرى **طبيعية**، وفي العصر **الإسلامي**"منيت **بأزمات** عدة، خاصة في**"العصر المملوكي"**، حيث شهدت خلاله، وطوال ما يقرب من ثلاثة قرون **مزيجاً متناقضاً** من الرخاء والبلاء، التقدم والتخلف، **تناقضاً** فريداً، أضفي عليها الكثير من الظلال، فمع معاناة المصريين من ويلات الظلم الإجتماعي والفقر، وجور الأمـراء المماليك جاء عليهم وباء الطاعون، وحصد فيهم جميعاً، حتى أنشد **الشعراء** في ويلاته، ومنهم ابن إياس، القائل:

أقـول للطعن والمماليك جاوزتما الحد في النكاية
تـرفقا بالورى قليلاً في واحد منكما كفاية
مجزوء البسيط

هكذا،، مثل وباء الطاعون، **حالة** من حالات **التأزم** في المجتمع المصري، وواحداً من الأمـراض **المستعصية** التي خلفت وراءها كثير **من الموتى**، و**الجدب** الاقتصادي، والغلاء، وتوقف الحياة بوجه عام، **عن هـذه الأزمة المرضية**، ستدور هذه **الدراسة البحثية** في محاولة للكشف عن طبيعة هذه **الكارثة**، التي أصابت مصر **ومُنى** بها شعبها، لسنوات عدة تقاربت في أحيان، وتباعدت في أحيان أخرى، في عصر متميز كانت فيه مصر- **حاضرة** لسلطنة **مزدهرة**، هي" السلطنة المملوكية"، **وعن** أسبابها، **وأضرارها، وموقف** كل من رجال الدولة أو "السلطة الحاكمة" وفئات الرعية في التصدي لها، وما كان لها من نتائج على النواحي السياسية والإقتصادية والإجتماعية في المجتمع المصري طوال عصري سلاطين المماليك من خلال عدة **محاور أساسية هـي:**

- الوباء والطاعون لغةً واصطلاحاً.
- أنواع الطاعون.
- أعراض مرض الطاعون.
- مصدر الطاعون.
- أسباب حدوث الطاعون وعوامل انتشاره.
- مواقيت حدوث الطاعون.

- الأوبئة والطواعين في مصر قبل العصر المملوكي.
- الأوبئة والطواعين في مصرخلال العصر المملوكي.
- سنوات الأوبئة والطواعين في مصر بين حدوث الأزمة والحلول.
- موقف الدولة والرعية في مصر من أزمات الأوبئة والطواعين:

أ- طرق الوقاية.

ب- طرق العلاج.

ج- النتائج المترتبة على حدوث الأوبئة والطواعين.

- نتائج الدراسة.
- ملاحق الدراسة.

وبعد،،،

أجملت في الخاتمة، أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

وأخيراً،،،

أرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى، وتكون هذه الدراسة ذات فائدة للقارئ، وحافزاً لإضافة المزيد من الجهد في مجال الدراسات التاريخية.

والله مـن وراء القصد ،،،،

*** الأوبئة والطواعين لغة واصطلاحاً:**

في اللغة: الوباء، هو: **الطاعون،** وكل **مرض** فاش عام، **وجمعه**: أوبئة وأوباء، أما **الطاعون،** فهو: "المرض العام، والوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد له الأمزجة والأبدان.(ابن منظور،د.ت، مادة طعن)، وقيل أيضاً، هو: "داء وبائي سببه ميكروب يصيب الفئران، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى، ومنها إلى الإنسان"، **وجمعه: طواعين**.(الفيروز آبادي، 1952م، ص.426).

وفي الإصطلاح: عُرف الطاعون، فقيل: "مادة سمية تُحدث ورماً قتالاً يحدث في المواضع الرخوة والمغابن من البدن، وأغلب ما تكون تحت الإبط أو خلف الأذن أوعند الأرنبة.(ابن سينا،1993م، ص.4)، **وفي العصر المملوكي،** عرف الأطباء الطاعون، وقيل أنه: "ورم قتال يخرج من تلهب شديد يمرض به كثير من الناس في جهة من الأرض دون سائر الجهات، وعادة ما يصيب هذا الورم الأعضاء الغددية خلف الأذنين والإبطين والفخذين ومنطقة البطن".(ابن القف المسيحي،1953م، ص.148)، ولما كانت الطواعين تكثر عند الوباء في البلاد الموبوءة، أطلق على الطاعون وباء وبالعكس، كما **أثبتت** الأبحاث الطبية **حديثاً.**(جوهر، 1950م، ص.72-73) أن الطاعون مرض من الأمراض المتوطنة في شبه القارة الهندية، ويكمن **الفيروس** المسبب له في **الفئران** التي ينتقل منها المرض إلى الإنسان عن طريق **البراغيث** بعد أن تتكاثر البكتريا المسببة له في قنواتها الهضمية، ثم تغزو **الغدد اللمفاوية** عند الإنسان، فتصاب **بالتورم** ثم ارتفاع في درجة حرارة المصاب مع تسمم حاد في الدم، والذي ينتقل بدوره إلى الرئتين فيسبب **الطاعون الرئوي** الذي يعتبر أخطر مراحل المرض عند الإنسان حيث ينقل **الهواء** العدوى إلى الأشخاص غير المصابين عن طريق إفرازات الجهاز التنفسي المحتوية على بكتريا المرض.(Elmishad,1974, p.126.)، **فما هي أنواع الطاعون؟!**

***- أنواع الطاعون:** الطاعون **ثلاثة** أنواع.(مقلد،1994م، ص.17)، **هي**:

(1)-الطاعون"الدملي": ويظهر على هيئة تضخم في العنق والتهاب في الإبط.(واتس،2010م، ص. 73؛ زكي،1922م، ص.124).

(2)-الطاعون الدموي: ويظهر على هيئة دمامل أعلى الفخذ، ويصحبها بقع كبيرة مختلفة الألوان في أنحاء متفرقة من الجسم، ولأنه يصيب الإنسان فجأة، فسمي **بالصاعقي،** وهو معروف في مصر بإسم **الفوري.**(المصري،1989م، ص.24؛ زكي،1922م، ص.126).

(3)- الطاعون الرئوي: أخطر أنواع الطاعون على الإطلاق لحدوث الإلتهاب الرئوي الحاد، وينتقل من المصاب إلى السليم عن طريق الرذاذ، **وقلما** شُفي منه مريض أو مصاب، ولعله **الأكثر** شبهاً بفيروس **كورونا** المنتشر الآن دولياً.(جوهر،1950، ص.72-73).

*** أعراض مرض الطاعون:**

تناول الأطباء المسلمون الأعراض المصاحبة للمصاب بالطاعون، فقالوا أنها تظهر على هيئة نزلات البرد في الدماغ والصدر، حيث ارتفاع في درجة الحرارة، وألم في الأجناب والصدر، وسعال وصعوبة في التنفس، وأخيراً اضطراب في البطن.(ابن قيم الجوزية، 2004، ص.199)، ثم أضاف"الأطباء" حديثاً، أعراضاً أخري هي: حمي شديدة تصاحبها آلام في الرأس، وتكسر في الأطراف، وضعف عام في الجسم، مع حرارة في الجسد وسرعة في النبض وفقدان الشهية، وقيء وعطش.(المصري، 1989، ص.25)، **وأخيراً،،، أضاف** المعاصرون.(جوهر، 1950، ص.73)، وصفاً **لأعراض أخرى** للطاعون، **وهي:**

- الإعياء الشديد، والشعور بالإرتعاش، وحدوث القيء.

- الإسهال أو الإمساك، وبراز لونه أسود ، ونزيف بالجلد.(زكي، د.ت، ص.121).
- عدم الانتظام بضربات القلب، وهبوط في ضغط الدم، مع قصور في التنفس.
- ألم في المعدة، وتصلب بالرقبة، وتشوش بالذهن، وأحياناً حدوث غيبوبة.(غازي،2007، ص.269-270).
- إلتهاب الغدد الليمفاوية، وتضخم بعض المناطق في الجسم من لدغ البراغيث.(زكي، د.ت، ص.121).

-* مصدر الطاعون:

يعد الكشف عن أصل كل الظواهر الوبائية التي اجتاحت مصر في العصر المملوكي أمراً **صعباً للغاية،** إذ أن مصادرنا الطبية والتاريخية المعاصرة لا تقدم لنا ما **يميط اللثام** عن مصدر نشأة كل طاعون، مكتفية بذكر عبارات **نمطية** مبهمة مثل: **وقع** الطعن(الطاعون)، **فشى** الطاعون، أعقب **الغلا الفنا، انتشر الوبا،** وكلها عبارات لا توضح إلا وقوع الوباء، دون أي إشارة إلى **مصدر** العدوى، وكيف دخلت مصر وانتشرت، مع **إشارات قليلة** توضح بداية ظهور العدوى فقط دون تحديد مصدر العدوى، وأمام **هذا الصمت** من جانب المصادر التاريخية عن تحديد **مصدر** نشأة كل حالة طاعونية، أجدني مدفوعة إلى **ترجيح واحد** هو أن هناك **عدد** من الأسباب "محلية ووافدة" وراء حدوث الطاعون، ووراء نشأة واستشراء عدواه، وهو ما سأعرض له **فيما يلي**:

*** أسباب حدوث الطاعون، وعوامل انتشاره:**

أولاً: خلص الأطباء المسلمون إلى أسباب حدوث الطاعون كمرض: **ومنهم"ابن سينا"(ت 428هـ/ 1036م) الذي قال:**"وسببه(الطاعون) **دم رديء مائل إلى العفونة،** والفساد يستحيل إلى جوهر ُسمي يفسد العضو ويغير ما يليه، ويؤدي إلى القلب كيفية رديئة، فيحدث القيء والغثيان والغشي والخفقان.(ابن سينا،1993م، ص.4).

ثانياً: فسر بعض الأطباء والمؤرخون في كتاباتهم وهم يسجلون أحداث العصر، الطاعون، وكونه مرض أم عقاب، وأسباب انتشاره في ضوء مجموعة من العوامل **الطبيعية والبشرية** معاً، أعرض لها فيما يلي، حيث **أرجع البعض** سبب انتشار الطاعون إلى **تلوث الماء والهواء، ومن هؤلاء: يحيى بن سعيد(ت458هـ/1066م)، لقوله:"**إن فساد الماء الذي تسقى به الأرض يؤدي إلى فساد وتلوث النبات الذي يخرج من الأرض، والذي منه غذاء الإنسان، وهو ما يسبب الوباء للإنسان عند تناوله، كما أن فساد الماء يترتب عليه نقص في المحصول، وهو ما يؤدي إلى نقص الغذاء، وارتفاع سعره، مما يؤدي إلى ظهور المجاعات والأوبئة".(الأنطاكي،1990م، ص.129)، **ومنهم: ابن قيم الجوزية(ت751هـ/ 1350م) لقوله:**" فساد الهواء جزء من أجزاء العلة الفاعلة للطاعون، فإن فساد جوهر الهواء الموجب لحدوث الوباء وفساده يكون لاستحالة جوهره إلى الرداءة، لغلبة إحدى الكيفيات الرديئة عليه كالعفونة والنتن والسمية".(ابن قيم الجوزية، 1935م، ص100)، **ومنهم: ابن النفيس(ت687هـ/1288م) لقوله** في **تلوث الماء**: **"وتغيير كيفية الماء،** نتيجة طبيعية لتغير الهواء وركوده، مما يؤدي وبلا شك إلى حدوث المجاعات والأوبئة.(ابن النفيس،2002م، ص.304)، **أما ابن خلدون**(ت808هـ/1405م) **فيقول: "**إنه إذا فسد الهواء، وقع المرض في الرئة، وهذه هي الطواعين"(ابن خلدون،1930م، ص.221)، **بينما** يري **المقريزي(ت845هـ/1405م) أن** تلوث الهواء، قد يكون بسبب الإرتفاع الشديد في درجة حرارة الجو، وهبوب الرياح الشديدة، مما يدفع إلى حدوث الطاعون.(المقريزي،1934م،ج4، ق1، ص.348).

ثالثاً: سجل بعض المؤرخون نقلاً عن أفكار رجال الدين، أن الطاعون ما هو إلا **عقاب** من الله ينزله علي من يغضب عليهم، لكثرة فعل **المحرمات،** مستندين في ذلك على عدد من الآيات القرآنية الدالة على جزاء وعواقب فعل هذه المحرمات، وما ورد في الحديث النبوي، لقول **الرسول الكريم(ε): ما من قوم يظهر**

فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء.(ابن حجر،1996م،ج11، ص.343)، **وقول الصحابي ابن مسعود (ؓ):"**إذا بخس المكيال حبس القطر، وإذ كثر الزنا وقع الطاعون، وإذا كثر الكذب وقع الهرج".(ابن حجر،1996م، ج11، ص.343)، **وإلى جانب فساد الرعية** من فعل **الآثام**، يأتي **"جورالحكام"**.

رابعاً: أرجع بعض الأطباء والمؤرخون أسباب انتشار الطاعون في مصر خلال عصري سلاطين المماليك، إلى عدة عوامل أخرى، **منها:**

- **العدوى القادمة** إلى البلاد من الشرق أو الغرب، وهو ما ذكره الرحالة الأوربيون الذين زاروا مصر في القرن الثامن والتاسع الهجري/ الرابع والخامس عشر الميلادي.(علي،د.ت، ص.83)، وهو **ما يؤكده** واقع أحداث اليوم من انتشار فيروس كورونا، الوافد من دولة الصين.

- **المجاعات** التي اجتاحت مصر من وقت لآخر، نتيجة لنقص مياه النيل، وما يصحبه من توقف في الزراعة، وقلة مواد الغذاء، وما يتبع ذلك من وفاة آلاف البشر جوعاً، وتناثر جثثهم في كل مكان حتى تتعفن، وتسبب انتشار وباء الطاعون.(قاسم، 1979م، ص.153).

- **الكوارث الطبيعية** من زلازل يصاحبها ظهور الأوبئة وخاصة الطاعون، بسبب تعفن جثث الموتى تحت الهدم، نتيجة لصعوبة استخراجها، ودفنها، **ومن ذلك** ما حدث في الأعوام: 660هـ/1261م، 692هـ/1292م، 702هـ/1302م، 717هـ/1312م، 722هـ/1322م.

- **اضطراب الأحوال الاقتصادية، وعدم ثبات النظام النقدي** لدولة المماليك، وما ترتب عليه من عدم استقرار أسعار السلع، **كما أن** انخفاض الأجور، وعدم قدرتها على مواجهة الغلاء الدائم لأسعار السلع الغذائية ساعد على انتشار وباء الطاعون بين طبقات الشعب الفقيرة نتيجة للفقر والبؤس وسوء التغذية الذي لازمهم طوال العصر.(الصيرفي،1970م،ج3، ص.239؛ حبشي،1964م، مج9، ص.164).

- **السياسة الاحتكارية** التي اتبعها بعض **سلاطين** المماليك، ونظام الإقطاع الذي ساد دولتهم، والاهتمام بتكوين الثروات لأنفسهم، تسبب في خلق مثل هذه الأزمات، أو على الأقل زاد من حدة المجاعة وضراوتها، فقد لجأ بعضهم لشراء الغلال من الأسواق وهي رخيصة وخزنها طمعاً في أن يهبط النيل ويحقق لنفسه مكسباً، ومنهم: **برسباي(825-841هـ/1421-1437م)**، وفق ما ذكره **الصيرفي** في حوادث سنة 835هـ/1431م.(قاسم،1979م، ص153.).

- **سلسة الحروب الخارجية والداخلية** التي شنتها السلطنة المملوكية كانت عاملاً هاماً في استنزاف الموارد المالية للدولة، ومقدمة لإحداث الغلاء و'ندرة الأقوات.(آشتور،1985م، ص.396،390،380)، وما تلى ذلك من فرض كثير من **الضرائب** لتعويض فاقد **الخزانة**، مع **انتشار** ظاهرة "الرشوة" في تولي المناصب العامة في أنحاء البلاد، وما استتبعه من فساد في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.(عبدالرازق، د.ت، ص.116،16؛ حبشي، 1964، ص.146).

- **إهمال** المرافق الطبية، و**قصور الخدمات** الصحية، مع نقص **الوعي الصحي** لطوائف الرعية، وخاصة: العامة الذين كانوا لا يخشون الإصابة بالمرض لتسليمهم بالقضاء والقدر، ويساعدون على انتشاره بينهم بنقل العدوي، سواء بالإزدحام، أو الجهل بطرق الوقاية.(المصري،1998، ص.25-26).

هكذا،، يمكن إجمال أسباب حدوث الطاعون في **نوعين**: **الطبيعية، وتتمثل في**: **المناخ** الحار، **المجاعات، الكوارث** الطبيعية من **زلازل أو سيول، وانتشار الحشرات** والآفات الزراعية من البراغيث، الفئران، و**الأسباب البشرية**، وتتمثل في: **السلوكيات الغير صحية** للأفراد فيما يتعلق بنظافة المساكن والبيئة المحيطة، **ونقص الوعي الصحي** بسبب **الجهل** فأغلب فئات الرعية لا تؤمن بالطب والأطباء، وتعتقد في الدجالين والمشعوذين، **والفقر، والانحراف الخلقي مثل**: شرب الخمر وتعاطي الحشيش، وممارسة **الرذيلة، والخوف** من القحط، وأخيراً: **الحروب**.

*** مواقيت حدوث الطاعون:**

تفيد بحوث الطب الحديثة إلى معرفة واضحة بمواقيت حدوث الطاعون، حيث أكدت على أن فصل **الخريف والربيع** هما الفصلان المناسبان لتكاثر الحشرات ومنها: **"البراغيث"** "ناقلة العدوى"، وبذلك يكون **فصل الشتاء والصيف** هما الفصلان اللذان يشهدان انتشار وباء الطاعون .(سليمان،1997م،ص32)، وشهور **الربيع** من **مارس إلى مايو** أشد الفترات حدوثاً للطاعون، لإعتدال الحرارة وارتفاع درجة الرطوبة النسبية التي تصل خلالها إلى 66%، وهو مناخ يساعد على تكاثر **البراغيث** التي تتولى عملية نشر العدوى بين الأهالي، فضلاً عن هبوب **رياح الخماسين** التي تتسبب في توسيع نطاق استشراء العدوى، حتى قيل الربيع فصل المرضى، أما عن **شهور** بدء الطاعون فقيل أنها من **أكتوبر وفبراير**، وتستمر حتى نهاية فصل **الربيع** ومطلع فصل **الصيف** في **"يونيو- يوليو"**.

*** الأوبئة والطواعين في مصر قبل العصر المملوكي:**

والبداية،،، من العصر الأيوبي، وفيه، شهدت مصر **وباءً متكرراً، أولـه:** في عام **575هـ /1179م، عهد** الناصر **صلاح الدين الأيوبي**(564-589هـ/1169-1193م) حيث اجتاح مصر، وأدى إلى كثرة الوفيات، ومات بالقاهرة في خمسة أيام **سبعة عشر ألف** إنسان".(المقريزي،1934م، ج1،ق1، ص.70)، **وثانيه:** جاء في أعقاب **قحط كبير في عصر العادل(596-615هـ/1200-1218م)** سنة**597هـ /1200م**، وقد مات فيه نحو **مائتين وعشرين ألف** إنسان، كان منهم جماعة كبيرة من الأطباء، والنساء **الغواسل** اللاتي قمن بـ'غسل المتوفيات.(مجمع اللغة العربية،2003م، ص.450)، ولعل حدوثه نتيجة **لقصور الإمكانات الطبية**، فموت الأطباء ومن قبلهم الغواسل، إنما وقع غالباً لفقر الإمكانات الطبية دون شك، فحصد فيهم هم والمصابين على حد سواء.(ابن إياس،1975م،ج1، ق1، ص.254)، **وما يهمنا فيه،،** أن السلطة الحاكمة، ممثلة في السلطان، قدمت دوراً إيجابياً، حيث **كفن** في مدة يسيرة مائتان وعشرين **ألف** متوفي(220.000)، فقد امتلأت الطرقات برمم الناس، وصلي أمام جامع الاسكندرية في يوم علي **سبعمائة** جنازة.(أبو شامة،2002م، ص.125)، **وثالثه :** جاء في عام **632هـ/1243م**، واجتاح مصر وباء عظيم، كثرت منه الوفيات حتى قيل:" **مات في شهر واحد نيف وثلاثون ألف إنسان"، ورابعه:** جاء في عام 633هـ/1244م، ودخل مصر، وحسبما قيل: نتج عنه **"فناء وخراب لا حدود له"**.(المقريزي، 1934م،ج1، ق1، ص.250).

هكذا،، شهدت مصر قبل العصر المملوكي مباشرة، قدراً متنوعاً من الأزمات الاقتصادية الطاحنة، **وقليل** من الطواعين الطويلة والقصيرة، غير أنه في **عصري** المماليك "البحري والبرجي"، شهدت مصر **قدراً كبيراً لا** مثيل له من الأوبئة والطواعين، **يكاد** يكون متصلاً، بلغ نحو **"واحد وسبعين وباءً وطاعوناً"**، فتك بأهلها، وترك **بصماته السيئة** على شتى مجالات الحياة، مما **يسترعي الإنتباه،** ويدعو للدراسة والتحليل، وهو ما سأعرض له **فيما يلي:**

*** سنوات الأوبئة والطواعين في مصر عصري سلاطين المماليك:**

أولاً: في العصر الأول: " دولة المماليك البحرية":

فيه،، شهدت مصر نحو **أربعة وعشرين** وباءً وطاعوناً، أذكرهم وفقاً لترتيب حدوثهم، من خلال **"عصور سلاطين المماليك"**، وعددهم **ثمانية سلاطين**:

- **عصر السلطان "عز الدين أيبك"(648-655هـ/ 1250-1257م):**

دخل الطاعون مصر **مرةً واحدة عام 649هـ/1251م**، ومن وفياته، الإدفوي المؤرخ".(مصطفى،1990م،ج3، ص215.)، ولم **تسعفنا** المصادر برد فعل **للسلطة الحاكمة** نحو مواجهته، و**ذلك غالباً**، لإنشغال **السلطان** بتوطيد حكمه، والقضاء على الصراع الخارجي المتمثل في ملك

دمشق، الأيوبي المتطلع لضم مصر لنفوذه، وكذلك للصراعات الداخلية المتمثلة في تمرد الأعراب، ومنافسة أمراء المماليك، للوصول إلى سلطة الحكم، وخاصة الأمير أقطاي.

- عصر السلطان الظاهر "بيبرس البندقداري"(658-678هـ/1260-1279م):

دخل الطاعون مصر في **عامين متتاليين، الأول: عام671هـ/1272م،** واستمر نحو **ستة أشهر** متصلة.(ابن إياس،1975م،ج1،ق1،ص.290)، وهي فترة **طويلة نسبياً** في العام الأول من دخوله مصر، مما يدعو لترجيح **غياب** أو نقص التدابير**الاحترازية** والوقائية والعلاجية في مواجهته، **ويؤكد ذلك** ما نتج عنه من كثرة الوفيات، فيقول الخبر:"**مات فيه مالا يحصى** من الخلق من نساء ورجال، وأطفال، وعبيد وجواري"، مما يفيد بفناء البيت عن بكرة أبيه من سادة وخدم، **والثاني: وقع** في عام **672هـ/1273م:** وكان أكثر ضحاياه من **النساء والأطفال!!**.(**نتيجة** لنقص الوعي الصحي عند النساء والتصاقهن بأطفالهن، مما تسبب في نقل العدوى لهن، كما أن حدوث الطاعون عامين متتاليين يدلل على عدم اتخاذ التدابير الصحية اللازمة للقضاء عليه قضاءً مبرماً في العام الأول والحد من انتشاره أو استمراره للعام التالي).

و**لعل السبب** في تقصير السلطان تجاه مواجهة أزمة تكرار الطاعون، يرجع لإنشغاله بحروبه ضد الصليبيين، والمغول، وإخماد الثورات الداخلية من منافسيه من الأمراء المماليك، فقد سبق وألغي في عام 662هـ/ **ضمان أو ضريبة الحشيشة**.(ابن تغري بردي،1925-1929م،ج10، ص.195)، وأمر بتأديب من يأكلها، وأبطل سائر الخمارات، وكما ذكر المقريزي: " **كُبست** أماكن الريب والفواحش بالقاهرة ومصر.(المقريزي،1941،ج2، ص.36؛ ابن إياس،1975م،ج2،ص.333).

- **عصر السلطان العادل زين الدين "كتبغا"(694-696هـ/1294-1296م):**

وقع الطاعون في **عامين متتاليين، الأول**: عام**694هـ/1294م:** وجاء في أعقاب **أزمة اقتصادية** كبرى في العالم بوجه عام، فكان يموت في اليوم الواحد نحو"ألوف من البشر"، **فتحرك** السلطان، وحسبما ذكر العيني: "رسم السلطان بتوزيع الصعاليك والفقراء على الجند والأمراء، فوزعوا بالقاهرة ومصر، ليقوموا بهم من أموالهم".(ابن الفرات،1942م،ج7،ص.10؛ العيني،1989م،ج2، ص.120)، **والثاني: عام 695هـ/1295م:** وقد تزايد في **أثره** حتى مات فيه نحو**"ثلث سكان مصر"**، وللمرة الثانية نجد مشاركة **إيجابية** للسلطة، لتكفل السلطان، ومن ماله الخاص **بتكفين** عدد كبير من الوفيات، بلغ نحو **"مائتين وسبعين ألف إنسان"**.(المقريزي،1934م، ج1، ق3، ص.809-810؛ المنصوري،1993م،ص.102؛ابن إياس،1975م، ج1، ق1، ص.386-387) ما يعد من **محاسن أعماله،** وإن ظل عملاً واحداً فقط!! دون أي إجراءات أخرى.

عصر الناصر "محمد بن قلاوون"(709-742هـ/1309-1341م):

خلال السلطنة الثالثة له(748-752هـ/1347-1351م) وعبر **ست** سنوات غير متتالية، **دخل الطاعون مصر، كان أوله: عام 709هـ/1309م: وفيه، انتشر** الوباء، وفشت معه الأمراض الحادة .(المقريزي،1991م،ج2،ص.546)، **وثانيه: في عام 716هـ/1316م:** وقع الوباء **عقب حالة جوية سيئة، وهلك** فيه خلق كثير(سليمان،1997م،ص.32)، وامتد الوباء إلى الأشمونين(**بالمنيا**)". (المقريزي،1934م،ج2،ق1،ص162)، **وثالثه: في عام720هـ/1320م:** حدث طاعون قوي، **وقل أن سلمت منه دار في مصر.**(ابن الوردي،1868م،ج2، ص.270؛ السيوطي،1997م،ج2، ص.301) **ورابعه: في عام 727هـ/ 1309م: فشت** وانتشرت معه الأمراض الحادة.(المنصوري،1993م، ص.40-42)، **وخامسه: في عام 731هـ/ 1330م:** وقع بمصر وباء وصفه البعض **بأنه:" يسير"**، ومات فيه الكثير من الناس، من أبرزهم **كبار الأمراء** المماليك، **وسادسه: في عام 736هـ/ 1335م:** وقع فناء كبير

في مصر، ومات فيه عدد كبير منهم.(ابن أيبك الدواداري،1960م،ج9، ص.358)، وحول هذا الطاعون الأخير سجلت المصادر، دوراً إيجابياً للسلطة الحاكمة **ممثلاً في السلطان**، وخبر يقول:" أمر السلطان بتوزيع الغلال على الفقراء من **الشون السلطانية(مخازن الغلال)** وشون الأمراء".(ابن إياس،1975م، ج1، ق1، ص. 471) كنوع من محاولة رفع البلاء والجدب الإقتصادي الواقع.

هكذا،، وقع الطاعون في **ستة أعوام** متفرقة من عصر الناصر محمد بن **قلاوون** في سلطنتة الأخيرة، ونتج عنه **كثرة الوفيات** من المصريين وكبار أمراء المماليك، دون أن يُذكر السبب، والتدبيرات الاحترازية للتقليل من انتشاره، وتقليل عدد الوفيات، فلماذا لم يتخذ السلطان من الإجراءات، سوي المشاركة الإيجابية بتوزيع الغلال على الفقراء؟! وهو الذي عُرف عصره بأنه من أزهي فترات دولة المماليك، نظراً للنهضة الحضارية والعمرانية الكبيرة في أيامه، ولا نجد له عذراً في التقصير إلا انشغاله بالإضطرابات الداخلية وصراعه الشخصي للحفاظ على بقائه في السلطة!!

- **عصر السلطان الناصر"حسن بن الناصر محمد بن قلاوون"(748-752هـ/1347-1351م):**

في السلطنة الأولى،، دخل الطاعون مصر واستمر **لعامين، الأول:عام 748هـ/1347م:** ظهر وباء الطاعون في مصر، ودخل إليها، وانتشر في جميع أنحاءها، ومات فيه الكثيرين، فبادرت السلطة الحاكمة، وتحركت بإلغاء سائر **الضمانات (الضرائب)** في المناطق المصابة، حسبما قال ابن تغري بردي: "..عم الوباء، فأبطل من **البحيرة** سائر **الضمانات"، والثاني: في عام749هـ/1348م:** وهو المسمى**"الموت الأسود" Black dead**.(ابن إياس،1975م، ج1، ق1، ص530-533)، أو**"الفناء الكبير"**، وقد **دخل مصر وافداً** من أوروبا، وعم الفناء سائر بلادها من مدن وقرى، فكان يموت بمدينة **القاهرة** وحدها في اليوم الواحد ما بين **عشرة آلاف** إلى **عشرين ألف** نسمة"، وقيل: **"ضبط** في شهري **شعبان ورمضان** فقط من الوفيات نحو **تسعمائة ألف** نسمة"، **ولم يزرع في أراضي** مصر في تلك السنة إلا القليل بسبب موت الفلاحين، **وقيل أيضاً: "عدم من يزرع".**(المقريزي،1941م،ج2، ق3، ص.772)، مما أوجد الغلاء في أسعار الغلال، حتى بيعت كل ويبة أو "المكيال" من القمح بنحو **مائتين** درهم. (هنتس،1970م،ص80)، وكما حصد **"الطاعون"** في **البشر**، عمل **في الدواب والماشية** أيضاً، ومنها: جمال السقاية وغيرها، فبلغ ثمن **الراوية** من الماء نحو أثنى عشر درهماً، بسبب موت الجمال.(المقريزي،1941م،ج2، ق3، ص.772؛ ابن بهادر، مخ.2399،ورقة295)، ومثلما تحركت السلطة أمام انتشار الوباء، وكثرة الموتي فيما سبق، تصرفت **ثانية**، حسبما يقول أبو الفدا، حيث زاد **ضمان** الموتى جداً، فتضرر الناس، ولاسيما الصعاليك، **فرسم نائب السلطنة** بإبطال **ضمان** النعوش والمغسلين، والحمالين، ونودي بإبطال ذلك في يوم الإثنين سادس عشر ربيع الآخر".(أبو الفدا، د.ت، مج9، ص.438)، وهو **إجراء اقتصادي بحت**، نعم يبعد عن التدبيرات الاحترازية الصحية المعروفة، ولكنه كان وسيلة للتخفيف عن كاهل الرعية الفقيرة.

في"السلطنة الثانية" للناصر "حسن بن الناصر محمد بن قلاوون"(755-763هـ/1354-1361م):

في عام761هـ/1359م: انتشر الوباء بمدينة القاهرة، ومات فيه كثير من **أعيان مصر**، واستمر قائماً بالبلاد حتى العام التالي**762هـ/1360م، وفيه:** وقع فناء كبير، وحصد من البشر الكثير والكثير، والذي يقدر بالآلاف، فكان يموت في اليوم الواحد نحو **الألفين إنسان"**.(ابن تغري بردي،1925 - 1929م، ج10، ص.311)، ولعل استمرار الطاعون **لعامين متتاليين**، لم يكن بسبب غياب التدبيرات الاحترازية في نقل العدوي، بقدر ما كان بسبب سوء الأحوال الجوية، وهو سبب طبيعي، ولاحظنا أنه على الرغم من أهمية الطاعون الأخير، صمتت المصادر، عن ذكر أي سبل لمواجهته، وتقليل آثاره من جانب السلطة، فلماذا يتقاعص السلطان في سلطنته الثانية عن اتخاذ تدابير وقائية لمواجهة هذه الطواعين

القوية التي داهمت البلاد في عصره!! **ولعله** لم يكن يملك من السلطة الا إسمها، لطغيان الأمراء الأوصياء عليه، وهما: **ضرغتمش، وشيخون،** فقد كانا الحاكم الفعلي، ولم يكن له " الناصر حسن" أي سلطان.

- **عصر المنصور "محمد بن سيف الدين حاجي"(763-765هـ/1361-1363م):**

في عام 764هـ/1362م: فشى الطاعون في مصر، **وصحبته الأمراض الحادة،** واستمر مدة ثلاثة شهور، هي: رجب وشعبان ورمضان، حصد فيهم **الآلاف** من الناس، فكان يموت في اليوم الواحد نحو **ثلاثة آلاف"**، طاعون كبير، حصد آلاف الوفيات، ومعه انتشرت أمراض حادة، و**صمتت** المصادر المعاصرة، عن ذكر أي اجراءات وقائية، وكأن الاستعدادات الطبية لم تكن متوفرة، وربما كان السلطان من الضعف عن المواجهة وتقديم يد العون للرعية، وهو الأرجح في اجتهادي.(ابن قاضي شهبه، 1973م، ج3، ص.179؛ ابن تغري بردي،1925-1929م، ج10، ص.311).

- **عصر الأشرف "شعبان بن حسين بن قلاوون"(765-778هـ/1363-1381م):**

في عام 769هـ/ 1367م: دخل الوباء مصر، وانتشر انتشاراً واسعاً، ودام نحو **أربعة أشهر،** وقيل:"غلب الموتى من الأطفال **والغرباء،** فكان عدد الموتى يومياً أكثر من مائة نفس، و**لعله** لنقص المناعة لدي الأطفال.(ابن قاضي شهبه،1977م، ج3، ص.219؛ المقريزي،1934م، ج3، ق1، ص.81).

وفي عام 772هـ/1370م: انتشرت في مصر الأمراض في فصل **الخريف،** وبخاصة في مدينة القاهرة، والوجه البحري، وحصد الفناء الكثير من الناس، فكان يموت في اليوم الواحد، نحو أربعمائة فرد.(ابن حبيب، 1976م،ج3، ص.312)، **وفي عام 775هـ/ 1373م:** وقع الوباء في مصر في أعقاب أزمة اقتصادية طاحنة، وانتشر بكثرة في بلاد مصرية بعينها هي: الإسكندرية، والوجه البحري.(ابن قاضي شهبه،1977م،ج3، ص.382)، **وفي عام 776هـ/1374م:** استمر الوباء، وظهر في القاهرة، وقيل: **"كثر الموتى من الفقراء والمساكين".**(المقريزي،1934م، ج3، ق1، ص.256،253)، **وفي عام 777هـ/1375م:** ظهر الوباء في الإسكندرية، وأنتشر بها، دون أن يدخل مصر، وحصد الفناء في الناس، فصار من يموت منه في اليوم الواحد نحو سبعمائة فرد.(ابن حبيب، مخ. 6170ح، ورقة473)، **وفي عام779هـ/1377م:** دخل الطاعون مصر، ومات منه جماعة كبيرة من الناس.(المقريزي، 1934م،ج3، ق1، ص.233؛ ابن حجر، 1969م،ج1، ص.72).

هكذا،، وعبر **ست سنوات** من سلطنة **الأشرف شعبان،** دخل الطاعون مصر، عامين غير متتاليين، وثلاث سنوات متتالية، وسجلت المصادر، تصرف واحد من جانب السلطة الحاكمة في طاعون عام 776هـ/1374م، تمثل في أن تصدي الأمير **ناصر الدين بن آقبغا آص،** والأمير **سودون الشيخوني** بدفن الطرحاء(**الموتى**) من أموالهما.(ابن حجر،1969م، ج1، ص.76)، وغالباً هذه الاستمرارية تدلل على قصور الإجراءات الوقائية والعلاجية لدي السلطة والرعية، ونقص الوعي الصحي!!

- **عصر المنصور علاء الدين "علي بن شعبان بن حسين"(778-783هـ/1376-1381م):**

دخل الطاعون مصر، **عامين متتاليين، <u>الأول</u>: عام782هـ/1380م:** ظهر الوباء في مدينة الإسكندرية، وانتشر بها انتشاراً واسعاً، واستمر بها طوال العام، وبلغ عدد وفيات اليوم الواحد فيها نحو **مائة وخمسون** إنسان، **وتحركت السلطة ممثلة** في الأمير **الكبير برقوق الظاهري،** الذي أبطل **ضمان** القمح بدمياط، وفارسكور.(المقريزي،1934م،ج3، ق1، ص.303؛ ابن حجر،1969م، ج1، ص.149). **<u>والثاني</u>: في عام 783هـ/1381م:** انتشر الطاعون من الإسكندرية إلى القاهرة، وبلغ عدد الموتى في القاهرة نحو **ثلاثمائة إنسان**.(المقريزي،1934م، ج3، ق1، ص.409؛ ابن حجر، 1969م، ج1،

ص.181)، ولم تذكر المصادر المعاصرة أي تدبيرات سلطانية لهذا الطاعون، لقلة معدل الوفيات، والأرجح ضعف شخص السلطان عن المواجهة، لحداثة سنه، ونقص الخبرة، فقد تولي طفلاً، والوصي عليه الأمير الكبير وقتئذ برقوق الظاهري.

ختاماً، دخل مصر خلال العصر المملوكي الأول، **أربعة وعشرون** طاعوناً، في **أربعة وعشرين** عام من إجمالي **مائة وستة وثلاثون** عام، هي فترة زمن العصر المملوكي الأول، أي ما يقرب من **سدس** عمره، أو أكثر قليلاً، دون أي إشارة لإجراءات مواجهة وتدبيرات وقائية أوعلاجية للسلطة الحاكمة أو أحد فئات من الرعية، وأقصد **الميسورين** من الشعب المصري وقتئذ، من كبار العلماء أو كبار التجار، أو كبار الملاك، حتى في الطواعين الكبري التتي استمرت لما يزيد عن خمس سنوات، فهل استمر هذا **القصور** في **قطاع الصحة المصرية** في عصر سلاطين المماليك البرجية؟!.

ثانياً: العصر المملوكي الثاني:" دولة المماليك البرجية":

- **عصر الظاهر سيف الدين "برقوق"(784-790هـ/1382-1388م):**

في السلطنة الأولى: في عام 788هـ/1386م: فشى وباء الطاعون في مدينة الإسكندرية.(ابن حبيب، مخ. 6170ح، ج4، ورقة 499)، وصمتت المصادر عن ذكر التدابير الوقائية والعلاجية السلطانية والشعبية على حد سواء، ولعل ذلك لإنحصار الطاعون في الإسكندرية وحدها، وعدم انتشاره خارجها.

- **عصر السلطان "الصالح حاجي بن شعبان"(790-791هـ/1388-1389م):**

في السلطنة الثانية: في عام 790هـ/1388م: وقع الطاعون بالقاهرة، واشتد عمله في الإنسان والمحاصيل الزراعية، وبلغ عدد الوفيات في اليوم الواحد نحو **مائتان وخمسة وثلاثون** إنسان.(ابن الفرات،1942م، ص.27؛ الصيرفي،1970م، ج1، ص.472)، وعنه صمتت المصادر عن سرد أي تدابير وقائية ومواجهتية تجاه أزمة وباء الطاعون، ولعل صغر سن السلطان، وعدم درايته بأمور الدولة، هو من وقف وراء عدم اتخاذ أي تدابير مواجهة.

- **عصر الظاهر "برقوق"(791-801هـ/1389-1398م):**

خلال السلطنة الثانية: دخل الطاعون مصر واستمر في خمس سنوات شبه متتالية:

في عام 795هـ/1392م: دخل الوباء إلى مصر، ووقع بمدينة الإسكندرية.(ابن حجر،1969م،ج1، ص.355)، **وفي عام 796هـ/1393م:** وقع الوباء بمصر عقب مجاعة كبيرة أصابت البلاد المصرية.(المقريزي،1940م، ج2، ص41-43)، **وفي عام797هـ/1394م**: وقع الوباء بمصر.(المقريزي،1934م،ج3،ق2،ص826)، **وفي عام799هـ/1396م:** وقع الوباء بمصر، واستمر لفترة طويلة، نحو ثلاثة شهور.(العيني، مخ. رقم 1584، ج25، ورقة40)، **وفي عام 800هـ/1397م:** وقع وباء الطاعون في الوجه البحري من بلاد مصر، وبخاصة في الشرقية والغربية، واستمر ما يقرب من ثلاثة أشهر، حتى خلت أكثر البلاد من سكانها.**(**ابن حجر،1969م،ج1، ص.214**).**

لعل أهم ما نلاحظه هنا، ما ذكرته المصادر عن كثرة أعداد الوفيات، دون أن تذكر طرق الوقاية والعلاج، مما يشير لنقص التدابير الاحترازية، فلماذا لم يتحرك السلطان؟!، ولماذا طالت فترة استمرار الطاعون لخمس سنوات متتالية، فهل كان السبب فقر الامكانات، أم نقص الوعي الصحي، وسرعة انتشار المرض ونقل العدوى، أم انشغاله **بتوطيد** أركان سلطانه؟!!.

- **عصر الناصر "فرج بن برقوق"(801-808هـ/ 1398-1405م):**

خلال السلطنة الأولى: في عام 802هـ/1399م، قيل:" فشت الأمراض الوبائية، وكثر الفناء في مصر.(المقريزي،1934م، ج3، ق2، ص.982، 993، 1016-1017)، وفي **عام 806هـ/1404م:** كثرت الأمراض، ونشطت في أهل مصر، في أعقاب هبوب رياح الخماسين، و**غلب الفناء** من شهر

شوال إلى ذي الحجة.(المقريزي، 1934م، ج3، ق2، ص.1119-1124،1120-1125)، وعنه ذكرت المصادر أسباب وقوعه، وعدد وفياته، دون إجراءت الحد من انتشاره سواء من جانب السلطة أو الرعية.

- **عصر المنصور "عبد العزيز بن برقوق"(808هـ/1405م):**

دخل الطاعون، مصر **في عام 808هـ/ 1405م: حيث** ظهر الطاعون في بلاد الصعيد، دون غيرها، وكان رحيله في الربيع.(المقريزي، 1934م، ج3، ص.1170-1173).

- **عصر الناصر فرج بن برقوق "(808-815هـ/1405-1412م):**

خلال السلطنة الثانية: دخل الطاعون مصر، واستمر فيها لمدة أربع سنوات متتالية: **بدءً من عام 809هـ/ 1406: وفيه،** وقع الطاعون، وبدأ ظهوره في شهر رمضان، واستمر إلى آخر العام، فصار يموت في اليوم الواحد بها نحو **مائتان وخمسون** فرداً.(المقريزي،1934م، ج4، ق1، ص 42؛ ابن حجر، 1969م، ج2، ص 360)، **وفي عام 810هـ/ 1407م:** استمر الطاعون، وانتشر في جميع بلاد مصر.(السيوطي،1997م،ج2،ص.308)، **وفي عام 812هـ/1409م:** انتشر الطاعون بمصر، كما انتشر في خارجها، في حماه وطرابلس.(ابن حجر،1969م، ج2، ص7)، **وفي عام 813هـ/1410م:** انتشر الطاعون بمصر واستمر، وقضى على عدد كبير من الناس.(ابن تغري بردي، 1929م،ج13، ص. 178).

هكذا،، وعبر **أربع سنوات** متتالية يمتد الطاعون، فلماذا؟ هل لإنشغاله بتوطيد سلطانه، - وهو الأرجح- في اجتهادي، أم الفقر ونقص الوعي الصحي، وضعف الإمكانات الصحية؟ وللموضوعية لم تسعفنا المصادر المعاصرة بإجابة، كما غاب فيها ذكر أي تدبيرات سلطانية وشعبية.

- **عصر السلطان المؤيد "شيخ المحمودي"(815-824هـ/1412-1421م):**

دخل الطاعون مصر، واستمر فيها لمدة سبع سنوات متتالية: **بدءً من عام 815هـ/1412م: وفيه:** ظهر الطاعون في مصر، وانتشر بها، وكان يموت في اليوم الواحد نحو **مائة وعشرين** إنسان، وترتب عليه أيضاً غلاءً شديداً في الأسعار.(المقريزي،1934م، ج4، ق1، ص.227؛ ابن حجر، 969م، ج2، ص.360)، **وفي عام 816هـ/1413م:** دخل الطاعون مصر، وانتشر بها في سائر مدنها.(ابن حجر،1969م، ج2، ص.57)، **وفي عام 818هـ/ 1415م:** ظهر الوباء بمصر، وصحبه غلاء شديد في الأسعار.(المقريزي،1934م، ج4، ق1، ص.310)، **وفي عام 819هـ/ 1416م:** وقع الفناء بالقاهرة، في شهر **صفر،** وبلغ عدد الموتى في اليوم الواحد من **ثلاثمائة إلى أربعمائة** إنسان، ورحل عن مصر في **ربيع الثاني،** وتناقص عدد الموتى إلى نحو **مائة وعشرين** فرد، ثم انتهى إلى **أربعين** فرد في اليوم الواحد.(العيني،1998م، ص344؛ ابن حجر،1969م، ج3، ص.87)، **وفي عام 820هـ/1417م:** انتشر الوباء بمدينة الإسكندرية ودمياط.(ابن حجر،1969م، ج3، ص.116)، **وفي عام 822هـ/ 1419م:** دخل الطاعون إلى مصر، في صفر، وتراوح عدد الموتى ما بين **عشرين إلى ثلاثين** إنسان في اليوم الواحد، وتزايد في ربيع الآخر، حتى بلغ عدد الموتى من **ستة وتسعين إلى مائة** إنسان، **وفشى** في القاهرة، وبلاد الوجه البحري، وبخاصة إقليم الشرقية، والغربية، وكان تناقصه في جمادى الأولى، فقد بلغ عدد الموتى فيه إلى نحو **سبعة وسبعين** في اليوم، وبلغ إجمالي عدد الوفيات في إحصاء الديوان نحو **ثمانية آلاف وأثنى عشر** إنسان**" 8012"**، خارجاً عن الموتى في الطرقات، وغيرها.(ابن حجر، 1969م، ج3، ص.191؛ الصيرفي،1970م، ج2، ص.442)، **وفي عام 823هـ/1420م:** كثر الوباء في مدينة الإسكندرية، وما حولها، مثل البحيرة، وما اتخذ السلطان سوي أمر واحد فقط يقضي بمنع السلطان النساء من الخروج إلى الترب، وقيل: **"تشددوا في ذلك"**.(العيني، مخ.1584، ج25،ورقة498)، **وهكذا،،** يعد عصر **المؤيد شيخ،** من أطول عصور سلاطين المماليك في عدد سنوات الطاعون **"سبع سنوات"،** والسبب في غياب التدابير الصحية، أنه أمضي سنوات عصره في القضاء على الثورات الداخلية، وحروب التركمان في شمال الشام، لكنه اهتم بالعمارة الطبية، وبدأ في بناء البيمارستان المؤيدي في عام

818هـ/1415م، وانتهي من بنائه في عام 823هـ/1420م، أي استغرق ست سنوات، وهو ما مثل خطوة في سبيل التصدي العلاجي لمواجهة أزمة الوباء، و**محاولة** للتصدي مع ما يخوضه من حروب داخلياً وخارجياً.

- **عصر السلطان الأشرف "برسباي"(825-841هـ/1422-1437م):**

في عام 826هـ/ 1423م: ظهر في مصر الطاعون، في مدينة دمياط، فقضى على عدد غير قليل بها، وبخاصة من الأطفال والرقيق.(المقريزي، 1934م، ج4، ق1، ص.275)، **وفي عام 827هـ/1424م:** دخل الوباء مدينة الإسكندرية، وقد ظهر في شهر شعبان من هذا العام".(المقريزي، 1934م، ج4، ص.278) **وفي عام 828هـ/1425م:** استمر الوباء، وأخذ "**ينهش في لحم المصريين**".(ابن حجر، 1969م، ج2، ص.196)، **وفي عام 831هـ/ 1427م:** دخل الوباء بلاد الصعيد، في رجب، فظهرت الأمراض الحادة في عدة بلاد بها هي: هو، بوتيج، منشية أخميم، وكثر أمره، وانتشر في شعبان من ذات العام.(ابن حجر، 1969م، ج2، ص244)، **وفي عام 832هـ/1428م** اتخذت السلطة إجراءاً، تمثل في تتبع **الأمير قرقماس** حاجب الحجاب مواضع الفساد **وكف** البغايا من الوقوف بطلب الفاقة في الأسواق.(المقريزي،1934م، ج4، ص.286-287)، وفي **عام 833هـ/1429م:** دخل الطاعون مصر، وانتشر كثيراً في الوجه البحري، وعلى غير العادة جاء في **الشتاء**.(محمد، 1987م، ص.32-33؛ حسين، محمد كامل، د.ت، ص.39)، وظهرت بداياته في ربيع الآخر، وبلغ عدد الموتى نحو **ثمانية وأربعين** إنسان في اليوم، وتزايد أمره في جمادى الأولى ليصل عدد الموتى إلى **مائة** إنسان في اليوم الواحد، واستمرت الزيادة في جمادى الآخرة، ثم حدث التناقص في شهر رجب، ووصل إجمالي عدد الوفيات إلى نحو **مائة ألف** إنسان.(المقريزي،1934م، ج4، ق2، ص.821؛ ابن حجر، 1969م، ج2، ص. 258)، **وفي عام 837هـ/ 1433م:** دخل الطاعون مصر، وقضى على أعداد غفيرة من سكان القاهرة، وبلاد الصعيد، والواحات.(المقريزي،1934م، ج4، ق2، ص.1031،906)، **وفي عام 838هـ/ 1434م:** وقع الوباء بمصر، ومات منه **"خلق كثير"**.(ابن حجر،1969م، ج3، ص.545)، **وفي عام 839هـ/1435م:** دخل الطاعون بلاد الصعيد.(ابن إياس، 1975م، ج2، ص.169)، عن طريق عدوى خارجية قدمت من بلاد اليمن، ولم تذكر المصادر ما اتخذته الدولة والرعية من تدبيرات، واكتفت فقط بذكر أعداد الوفيات، ولعل اهتمام السلطان برسباي ونهمه في جمع المال لنفسه، دون الدولة والرعية، هو ما جعله يقصر حتى اكتوى بنار هذا التقصير، وأصيب به عام841هـ/1437م، وأختتم به حياته.

- **عصر السلطان "يوسف بن برسباي"(841-842هـ/1437-1438م):**

دخل الطاعون مصر، في شهر رجب **عام841هـ/1437م:** أولاً في بلاد الصعيد، وفي **شعبان،** قيل: "أصاب الطاعون الدواب والماشية"، وفي **رمضان،** دخل الطاعون القاهرة ومصر والواحات، واستمر تزايده في **شوال،** وعمل الفناء في أهلها، وبلغ عدد الموتى في اليوم الواحد من **مائة إلى أربعمائة** إنسان، وفي **ذي القعدة،** وصل عدد الموتى إلى نحو **أربعمائة** إنسان، وفي **ذي الحجة** دخل الطاعون إلى الإسكندرية، وكان تعداد الموتى بها نحو **مائة** إنسان في اليوم الواحد، **وعنه** سجلت المصادر، دور إيجابي ومشاركة للسلطة الحاكمة، تمثلت فقط في الرسم بالأمر السلطاني **بمنع البغايا** وإغلاق **الخمارات**.(ابن حجر،1969م، ج3، ص.12؛ ابن تغري بردي،1925-1929م، ج15، ص.104)، وهو إجراء طبي عالي المستوى، لما يتسبب فيه **البغاء** من وقوع المرض، ونقل العدوى، وإن غابت التدابير الصحية الأخرى.

- **عصر السلطان "جقمق"(842-857هـ/1438-1453م):**

في عام842هـ/ 1438م: وقع الوباء في الوجه البحري من أرض مصر، وفي ذي القعدة دخل القاهرة، وتراوح عدد الموتى في اليوم الواحد من **واحد وعشرين إلى خمسين** فرد، وأغلبهم من الأطفال.(المقريزي،1934م، ج4، ق3، ص.1090-1098)، **وفي عام 847هـ/ 1443م:** دخل الطاعون إلى مصر، وظهر في شهر **ذي الحجة**.(ابن حجر، 1969م، ج9، ص.213- 214.)، **وفي عام 848هـ/1444م:** بدأ الطاعون في المحرم، وكان عدد الموتى في اليوم الواحد نحو **مائة وعشرين** فرد، وقيل:" عظم أمره في **صفر**"، حتى بلغ عدد الموتى نحو **خمسمائة** فرد في اليوم الواحد، وكان معظم الموتى من الأطفال والرقيق، ودخل القاهرة وضواحيها في شهر **ربيع الأول**".(ابن حجر، 1969م، ص.219-220)، وفي **عام 853هـ/1449م:** دخل الطاعون مصر في أول شهر المحرم، وعظم أمره في صفر، ومات فيه جماعة **كبيرة من الأمراء وأعيان الدولة**، وبخاصة مقدمي الألوف، وفي **أواخر الشهر** تناقص الطاعون، مع أول **خمسين** نصارى القبط، وأصاب **الدواب** من غنم وبقر، وفي ربيع الأول رحل الوباء عن مصر.(ابن حجر، 1969م، ج3، ص.389؛ السخاوي، 2002م، ص.253).

هكذا، دخل الطاعون مصر في عصر السلطان **جقمق**، لمدة أربع سنوات شبه متتالية، ولم تسجل له المصادر دوراً إيجابياً نحو مواجهة هذه الطواعين المتكررة المتباعدة، **فلماذا كان التقاعص؟** وقد حصد الوباء في كبار أمرائه، وأعيان الدولة، وكأنه شكر الله على تخلصه من منافسيه، والأرجح إنشغاله بالحروب الخارجية في **رودس**، والقضاء على الثورات الداخلية، قد التهم وقته واهتمامه ورعايته نحو مواجهة هذه الأزمات في الداخل، ورغم ما عرف عنه من محبته للعلم والعلماء، الإ أنه كان مهتماً بتوطيد سلطنته، وما قرب العلماء إلا لأنهم أصحاب السلطة على الرعية.

- عهد السلطان إينال"(857-865هـ/1453-1460م) :

في عام859هـ/ 1454م: دخل الطاعون إلى مصر ، وظهر في أواخر ربيع الآخر، في مدينة القاهرة، وكان قليلاً جداً، وخفيفاً في أثره .(ابن تغري بردي، 1930م، ج1، ص.450)، **وفي عام 864هـ/ 1459م:** دخل الطاعون مصر في ربيع الآخر، وبدأ في بلبيس بإقليم الشرقية، وضواحي القاهرة، وبلغ عدد الموتى في اليوم الواحد نحو **خمسة وثلاثين فرداً**، وعظم أمره في جمادى الأولى وتزايد عدد الموتى من ستين إلى أربعمائة إنسان، وقيل: تناهي من **ثلاثة آلاف** إلى **أربعة آلاف** إنسان في اليوم الواحد في جمادى الآخرة، وفي شعبان كان تناقص الطاعون، حتى رحل نهائياً.(ابن تغري بردي، 1925-1929م، ج16، ص.136-146).

هكذا،، دخل الطاعون مصر، مرتان متباعدتان، مع قلة الوفيات نسبياً عن سابقيه من الطواعين، وربما لهذا لم تذكر المصادر، أي دور إيجابي تجاه مجابهته، لقد انشغل السلطان بالحرب في الداخل والخارج، بالثورات الداخلية، وحرب التركمان، وتكوين أسطول بحري لمواقعة **الفرنج**.

- **عهد السلطان الأشرف "قايتباي"(873-902هـ/1468-1496م):**

في عام873هـ/ 1468م: دخل الطاعون إلى مصر، وأول ما بدأ ظهر في الإسكندرية، في شهر **المحرم**، ومات به **الظاهر يلباي(872هـ/1467م)**، وهو في سجنه بها، ومع **رجب** دخل إلى القاهرة، وتزايد أمره في شعبان، حتى وصل عدد الموتى في اليوم الواحد إلي أربعة آلاف وأربعمائة فرد، واستمر على ذلك في **رمضان**، ومع **شوال** بدأ في التناقص، وأخذ في الرحيل.(ابن تغري بردي،1930م، ج2، ص.703،687؛ ابن إياس، 1975م، ج3، ص. 18، 28، 30، 31)، وقد ظهر دور السلطة الحاكمة، أثناء وقوعه، ممثلاً في قيام الأمير الكبير **يشبك الدوادار**، ببناء المغاسل، فيقول الخبر:" شرع الأمير في بناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن، تحمل إليه الطرحاء من الموتى، فيكفنهم ويخرجهم ويدفنهم، ويصرف عليهم من ماله، فحصل للناس بذلك غاية الرفق في تلك الأيام".(ابن إياس،1975م،

ج3، ص.122، 123، 126)، **وفي عام881هـ/1476م:** بدأ ظهوره في **رمضان،** وفشى في القاهرة، مع **شوال** تزايد أمره وفتك في الكثير من المماليك والأطفال والعبيد والجواري، ومع ذي القعدة بلغ التزايد منتهاه، وفي ذي الحجة، بدأ في التناقص، وفي هذا الطاعون، حصل للناس بمغسل الأمير يشبك غاية النفع لأجل تجهيز الموتى ولا سيما **الطرحاء**.(ابن إياس، 1975م، ج3، ص.289، 292)، **وفي عام 897هـ/1491م:** بدأ في جمادى الأولى، ودخل القاهرة في جمادى الآخرة، بعد انقطاع كبير، وصاحبه غلاء في الأسعار، وفي رجب قيل:" تناقص بعد ما جرف الناس جرفاً، وأخلى الدور من أهلها، وبلغ جملة الموتى نحو **مائتان ألف** نسمة، منهم **أثنى عشر ألف** بكر"، **و**تناقص في **شعبان،** وخرج من القاهرة متجهاً نحو الصعيد.(ابن إياس،1975م، ج3، ص.292).

هكذا،، خلال ثلاث سنوات من عصر قايتباي الذي طال حكمه لنحو تسعة وعشرين سنة، دخل وباء الطاعون مصر، وصمتت المصادر عن ذكر أي دور له، فقط مشاركة الأمير الكبير يشبك الدوادار، والتي أرجح أن تكون بعلمه؟ ولكن لما عرف عنه من البخل، لم يُشارك فيها، واهتم بالآثار الحربية كبناء القلعة، والأبراج.

- **عصر السلطان "قانصوه خمسمائة"(903هـ/1497م):**

في عام 903هـ/1497م: في رجب، ظهر الطاعون بالقاهرة، وتزايد في شعبان، ونشط في المماليك والأطفال والعبيد، وظلت الزيادة في رمضان، ووصلت جنازات اليوم الواحد إلى **ثمانمائة** جنازة، وفي أواخر **رمضان** بدأ التناقص، وجملة الموتى **مائتان ألف** نسمة.(ابن إياس،1975م، ج3، ص. 387؛389)، وعنه نقلت المصادر تصرف سلطاني، و**مساهمة إيجابية،** في خبر يقول: " فلما كثر الموت في المماليك، صنع السلطان **ثلاثين نعشاً** برسم من يموت بالقلعة، وحصل بذلك النفع".(ابن إياس، 1975م، ج3، ص.390-391).

في عصر السلطان "قانصوه الأشرفي"(904-906هـ/1498-1500م):

في عام 904هـ/ 1498م: في شعبان، عاد الطاعون، ومات فيه الكثير، وكان خفيفاً.(ابن إياس،1975م، ج3، ص.411)، مما دفع بالسلطان لعدم الإهتمام، وصمتت المصادرعن ذكر أي تدبيرات.

في عصر السلطان "قانصوه الغوري"(907-922هـ/1501-1516م):

خلال ست سنوات، متتالية**: في عام909هـ/1503م:** في **ذي القعدة،** ظهر الطاعون بالديار المصرية، وكان خفيفاً في أثره، واستمر في **ذي الحجة**.(ابن إياس،1975م، ج4، ص.63-64)، **وفي عام 910هـ/1504م:** في رمضان، فشى الطاعون في مصر، مستمراً من العام السابق، وبلغ عدد الموتى نحو أربعة آلاف فرد في اليوم الواحد.(ابن إياس، 1975م، ج4، ص75)، **ولمواجهته،،**" فتح السلطان **مغسلاً** للأموات بجوار **سبيل المؤمني** بالقاهرة، فحصل به للناس غاية النفع، وفي **الشهر التالي**:" **أظهر** السلطان العدل في الرعية، ونادي في القاهرة بأن **المشاهرة وهي الضريبة** المقررة على الحسبة قد أبطلها السلطان، فارتفعت له الأصوات بالدعاء وفرح الناس بذلك".(ابن إياس، 1975م، ج4، ص.109)، **وفي عام 912هـ/ 1506م:** ظهر الطاعون ببلاد الصعيد، وراح ضحيته عدد كبير من سكان الصعيد.**(**ابن إياس،1975م، ص.295)، **وفي عام 918هـ/1512م:** ظهر بثغر الإسكندرية ورشيد، ولم يدخل منه شيء إلى مصر.(ابن إياس، 1975م،ج4، ص.298)، **وفي عام 919هـ/1513م:** وقع الطاعون بمصر، وبلغ عدد الموتى نحو **ثلاثمائة وخمسة وستون** فرداً، وكان تناقصه في شهر **ربيع الآخر، ولمواجهته،،** حسبما قيل:" رسم السلطان **بشيل** الدكك التي على أبواب الحكام، و**منع النقباء** قاطبة من على أبواب الأمراء وأرباب الوظائف".(ابن إياس، 1975م،ج4، ص. 304)، كما قرر ابطال **المكوس(الضرائب)**

قاطبة والمقررة على السوقة وأصحاب البضائع، كما رسم السلطان بإبطال إقامة مولد سيدي أحمد البدوي(τ).(ابن إياس،1975م،ج4، ص.309)، **وفي عام 920هـ/ 1514م:** وقع بعض الطعن في الشرقية فقط دون باقي بلاد مصر، وأقام أياماً، ورحل دون أن يفشى أو ينتشر في نواحي بلاد مصر.(ابن إياس،1975م،ج4، ص.375).

هكذا،، دخل مصر في العصر المملوكي الثاني، **سبعة وأربعون** طاعوناً، في سبعة وأربعون عاماً، من إجمالي **مائة وتسعة وثلاثون** عام، هو فترة زمن العصر المملوكي الثاني، أي ما يقرب من **أكثر ثلث مدة** حكم الدولة، وضعف ما شهدته مصر في العصر المملوكي الأول، وشارك **قلة** من سلاطين المماليك في العصرين" البحري والبرجي"، في القيام بدور إيجابي في مواجهة أزمات الأوبئة والطواعين التي حلت بمصر، و**غاب** أغلبهم عن المشاركة الإيجابية الصحية، للحد من أثارها، وأكتفوا بإجراء التدبيرات الاقتصادية، **المتمثلة في**: رفع الضرائب والمكوس وتوزيع الصدقات، والغلال، و**أحياناً،** لبعض الإجراءات الطبية، و**منها**: منع البغايا من العمل، لعدم نقلهن العدوى، بسبب الوازع الديني، والأرجح في اجتهادي لسبب **طبي،** ولعلهم فطنوا إلي أن البغايا ينقلن العدوى للرجال المخالطين لهن، والذين ينقلونها إلي زوجاتهن فيما بعد، كما عملوا على تشجيع تأليف وترجمة الكتب الطبية، مما يدعو للتساؤل: أين الإجراءات الصحية الأخرى الممثلة في: استقدام الأطباء المهرة للعمل في مصر، تطبيق نظام الحجر الصحي، وتجهيز دور العلاج، وتوفير الأدوية المعالجة، وجلب الناقص منها، واتخاذ إجراءات **التعقيم** والتطهير لكافة أرجاء مصر، من منازل، وأماكن عمل كالدواوين والمؤسسات الحكومية، وللموضوعية، ذكرت المصادر حرص معظم سلاطين المماليك على الأكثار من إنشاء البيمارستانات، وتجهيزها بكافة الاستعدادات، لتقوم بمهمتها في الإهتمام بصحة المرضى، إلا أنها لم تشر إلي أدوار هذه الدور العلاجية في مواجهة أزمات وباء الطاعون، ونشر الوعي الصحي، وتكرار نداءات التوعية كما يحدث الآن.

ختاماً،، بعد هذا العرض لسلسلة الطواعين والأوبئة "المتصلة والمنفصلة" التي تعرضت لها مصر خلال العصر المملوكي، أنتقل إلى **المحور** الرئيسي في هذه الدراسة، ألا وهو **موقف مصر**"الحكومة والرعية، أو السلطة الحاكمة والشعب" من إدارة هذه الأزمة؟ **لنعرف** كيف واجهت مصر" الدولة والرعية" هذا النوع من الأزمات الطاحنة؟ وما هي وسائل العلاج التي لجأت إليها؟ وما هي الآثار المترتبة على حدوث هذه الأزمات الطاحنة؟!

***- الطواعين والأوبئة في مصر بين حدوث الأزمة والحلول:**

أتوقف هنا أمام وقوع الأزمة، لأعرض كيف كان رد الفعل على المستويين الرسمي والشعبي، أو فلنقل ما هو موقف"رجال الحكم المماليك؟ وما هي تصرفات الشعب المصري" من حدوث أو وقوع الطاعون والوباء، وسبل المواجهة؟ وهل استسلمت الدولة "حكومة وشعباً" لهذا البلاء المميت؟!!

<u>أولاً:</u> موقف الدولة" السلطة الحاكمة المملوكية" من الطاعون، وسبل المواجهة:

يري البعض أن بعض سلاطين المماليك في أغلب الأوقات وقفوا مكتوفي الأيدي، أمام ما اعترى بلادهم من أمراض وبائية رغم ما توفر لديهم من أساليب علاجية بمقياس عصرهم، وإن سعوا في أحيان قليلة إلى عدة إجراءات من شأنها مواجهة الطاعون والتصدي له، وهي إجراءات **تميزت** بكونها مؤقتة مرهونة بظروف الأزمة، فإذا زال الخطر عادت الأمور إلى سيرتها الأولى، إلا أنها جاءت إيماناً منهم بأن الطاعون جاء نتيجة "انتشار الفواحش"، **فعمدت إلى:**

- **إغلاق** خانات الخمارين، و منع البغايا من البغي وفعل الفواحش أو الرذيلة.**ومثال ذلك** ما حدث في عام 665هـ/1266م.(المنصوري،1993م، ص.42).

- **رفع الضرائب** أو التخفيف من مقدار قيمتها، ومثال ذلك: إلغاء ضمان المغاني في عهد الغوري.(ابن إياس،1975م، ج4، ص.77، 303).
- **منع** النقباء والحجاب من على أبواب الأمراء المماليك، واستقبال أصحاب الحاجة والشكوى من الفقراء وغيرهم.(ابن إياس، 1975م، ج4، ص.302)، مما يفي بغرضه في مواجهة الازمة، وفي ذات الوقت، وتأليف قلوبهم، كسب ود الرعية، لعدم خروجهم علي الحاكم.
- **عمد** بعض **السلاطين** إلي إرضاء خاطر الرعية بتحمل بعض التكاليف المالية، وهو ما يمثل وجهاً من أوجه التكافل الإجتماعي، كما **عمد** البعض من كبار الأمراء المماليك إلى بناء المغاسل، وغيرها لمساندة طوائف الرعية الفقيرة.
- **عمد** أغلب الأمراء المماليك إلى الهروب نحو المناطق الجبلية وبخاصة جبل الطور.(الحموي، 1995م، ج2، ص.520-521)، ولعل هذا الاختيار نظراً لقدسيته أولاً، فقد ورد ذكره في أكثر من موضع في القرآن الكريم، وعليه ناجي **موسي** (ט) ربه، بل أن هناك سورة في القرآن الكريم سميت باسمه.(سورة الطور، رقم"52")، وثانياً لقربه من جبل دير سانت كاترين، أعلى جبل في مصر.(الحموي،1995م، ج2، ص.520)، ونقاء الهواء وعدم وصول الأبخرة المحملة بأنفاس المصابين بالطاعون، هم وأسرهم فترة حدوث الطاعون، ثم العودة بعد انقضائه، مما يدلل على اختيارهم العزلة، والحجر الصحي بمفهومنا الحديث، مما يشير إلى أنانية كبيرة منهم ومتأصلة لديهم، ومثال ذلك في أحداث طاعون عام748-749هـ/1347-1348م، 919هـ/1513م.(ابن إياس، 1975م، ج4، ص. 298-299؛ واتس، 2010م، ص.114).
- **عمد** بعض سلاطين المماليك إلى إرتداء الياقوت الأحمر، في صورة خاتم وما يشبهه، كإجراء احترازي ووقاية من نقل العدوى حسبما نصح البعض من حولهم. مثلما فعل السلطان الغوري الذي عمد إلى إرتداء خواتم الياقوت الأحمر في طاعون سنة 919هـ/1513م، اعتقاداً منه في أنه يمنع الإصابة بالطاعون.(ابن إياس،1975م، ج4، ص.297).
- **اعتاد** رجال السلطة الحاكمة من السلاطين والأمراء المماليك، تفرقة **الأقاطيع** من اللحوم وغيرها من احتياجات الرعية والشعب في فترات انتشار الطاعون، **حسبما** ذُكر.(ابن الفرات،1942م، ج8، ص.200).

ثانيا: موقف" الرعية المصرية" في مواجهة أزمات الأوبئة الطواعين:

واجهني في الحقيقة صعوبات شتى في تحديد حقيقة موقف الأهالي من الطواعين والأوبئة ذلك أن المعلومات التي وصلت إلينا من المصادر التاريخية المعاصرة لوقوع الأزمات بالغة الندرة بالمعلومات في هذا الصدد، حيث أرخ المؤرخون لوقوع الحادثة، وضنوا علينا المؤرخون بعدم رصد حركة المجتمع إبان شهور الوباء، إلا أنني اجتهدت في العثور على مصادر قليلة أخرى وللحقيقة أماطت اللثام ولو جزئياً عن أصداء الطواعين لدى الأهالي وردود أفعالهم إلى حد ما تجاه الكوارث، وتتمثل في المخطوطات الطبية وكتابات الرحالة، والسؤال الذي تبادر إلي الذهن أنفا عن موقف شعب مصر من أزمة الطواعية والأوبئة، هل كان الاستسلام والإحجام وانتظار الموت أم الإقدام والبحث عن الأسباب ومواجهة الأزمة؟! **والإجابة،** لم يقف المصريون مكتوفي الأيدي أمام ما اعتراهم، واعترى وطنهم من أوبئة وطواعين، بل توفرت لديهم بعض **أساليب المقاومة** التي **تمثلت في**:

- **الاعتصام بالدين**- وإظهار التوبة، وكثرة الخروج إلى المساجد للصلاة، والمحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها، وكثرة الدعاء والابتهالات الدينية لرفع البلاء، وقراءة وتلاوة القرآن الكريم، والصوم لأيام متتالية.(ابن بطوطة، 1969م، ج1، ص.100).

- **إشعال** النيران في مواقد أعدت لهذا الغرض بالقرب من تلال المقطم لتنقية الهواء مما به من آثار وباء الطاعون.(Dols,W.D ,p.79.).
- **حدوث** حالات من الهجرة الجماعية من بعض أفراد الشعب من أماكن انتشار الطاعون إلى خارج حدودها، لبعض الوقت ثم العودة بعد انتهاء موسم الطاعون.(ابن إياس،1975م، ج3، ص.286).
- **عمد** البعض من الناس إلى التخلص من بعض الحيوانات الضارة مثل الكلاب والقطط اعتقاداً منهم أنها تنقل العدوى.(ابن كثير، 2006م، ج14، ص.226-227)، في الوقت الذي أغفلوا فيه فرض الحجر الصحي على المناطق الموبوءة عملاً بقول النبي الكريم(ε): **إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها"**.(ابن حجر،1996م، ج11، حديث رقم 5728، ص.332)، بل إن الكثير من الناس خالفوا ما جاء في الحديث النبوي الشريف، وهربوا خارج مناطق انتشار الوباء، كما سبق وأشرنا، خوفاً على أنفسهم وذويهم مثلما فعل البعض من الأمراء المماليك، ولو أخذوا بالحديث النبوي لنجحوا في التخفيف من ازدياد الطاعون، وانتقاله من منطقة إلي أخرى عن طريق الفارين منه.
- **انتقد** شعراء مصر الطاعون، وقبحوا من أمره، ومنها: طاعون عام695هـ/1286م، **وفيه**:

قال إبراهيم المعمار"ت749هـ/ 1348م":

يـا طالباً للموت قم واغتنم هذا آوان الموت ما فاتـا
قد رخص الموت على أهله ومات من لا عمره ماتا بحر السريع

وفي طاعون 749هـ/1348م، قال أيضاً:

،قـبح الطاعون داء فـقدت فيه الأحبة
بـيعت الأنفس فيه كل إنسان بِـحبة بحر مجزوء الرمل

وفيه،، قال الصلاح الصفدي(ت764هـ/1363م).(الزركلي، 1969م، ج2، ص.363-364).

لما افترست أصحابي يـا عام تسع وأربعينا
ما كنت والله تسعاً بـل كنت سبعاً يقيناً بحر المتدارك

وقوله: دارت من الطاعون كأس فالنفس من سكرته طافحة الفنا
قـد خالف الشرع وأحكامه لأنـه ،يثبت بـالرائحة بحر السريع

وكذلك،، لا تثق بالحياة طرفة عين في زمان طاعونه مستطير
فكأن القبور شعلة شمع والبرايا لها فراش تطير
بحر الخفيف

وقال الشهاب المنصوري (ت887هـ/1482م) في طاعون877هـ/1472م:

لـهفي على مصر وولـدانها أضحو إلى الموت يساقونا
ما نـشر الفصل سهام الردي عليـهم إلا طـواعين بحر السريع

وقال ابن إياس(ت930هـ/1523م)، في الطاعون:

أقـول للطعن والمماليك جاوزتما الحـد في النكاية
تـرفقا بالورى قليلاً في واحد منكما كفاية
مجزوء البسيط

وعند زوال الطاعون،،، قال القائل: قُـل لمن يحمل هماً إن هذا لا يـدوم

مثل ما تفني المسرات كذا تفني الهموم بحر مجزوء الرمل

أما عن الوقاية والعلاج، فقد تعددت وسائلهما، ما بين تدابير وقائية وطرق علاج تمثلت في الأعشاب والأدوية، في البيوت والبيمارستانات"المستشفيات"، على **النحو التالي:**

*** ،طرق الوقايـة:**

اتخذ المصريون في العصر المملوكي، نقلاً عن سابقيهم في عصور سابقة قريبة، وخاصة "الأيوبيين"، عدة تدابير احترازية بمفهومنا الحديث، وكما ذكر الأزهري: كانوا يحترزون العطش والجوع، ومن الإمتلاء الزائد، ومن السهر المفرط، ولا يكثرون من الأدوية المسهلة.(الأزهري، مخ. 492 طب، ورقة 5)، ومن **التدابيرالوقائية** للحيلولة دون انتشار الطاعون، **أذكر منها:**

على المستوى الرسمي:

- **نصح الأطباء** الناس بعملية الفصد، ويقصد به إخراج الدم الفاسد.(الأزهري، مخ.492طب، ورقة4)، في زمن الوباء والطاعون للتقليل من نسبة الدم الملوث، وتجديد الدم، وتنشيط الشرايين، ويؤدي لإعتدال الطبع والطبيعة ويدفع عنها اختلاط الهواء الرديء.(ابن خلدون،1930م، ص.917).
- **الابتعاد عن المرضى** وعدم الاختلاط بهم، فاستنشاق الهواء المحيط بالمرضى والذي يختلط بأنفاسهم قد يصيب المخالطين بالمرض.(الأزهري، مخ.492طب، ورقة 4).
- كان العلاج في العصر المملوكي، يتم عادة في البيمارستانات بالمجان- دون مقابل مادي-، كما أن بعض الأطباء كانوا يعالجون مرضاهم من المعارف وأهل محلتهم بدون أجر، بالإضافة إلى إمدادهم بالأدوية اللازمة للعلاج، والتي لم تكن تستعمل إلا قليلاً نظراً لسرعة موت المصاب بهذا الوباء في كثير من الأحيان .(صبره، 1990م، ص.141).

على المستوي الشعبي:

- **تطهير المساكن** وتنظيف هوائها بالتبخير بنباتات وعطور مثل الكافور والصندل والمسك والعنبر.(الأزهري، مخ.492طب، ورقة 4).
- **الإقامة في الظل،** والأماكن الجافة والبعيدة عن التيارات الهوائية الباردة، مع التزام السكون، والإقلال من الحركة.(الأزهري، مخ.492طب، ورقة 4).
- **إصلاح الماء** بإضافة الملح إليه قبل الشرب والابتعاد عن الاستحمام بالماء الحار.(الأزهري، ورقة4).
- **إصلاح الغذاء،** وذلك من خلال المأكل السليم من الرطوبة كالنواشف والحوامض كالخل، وماء الحصرم أو الرمان أو النارنج، ومن النواشف العناب باللوز.(الأزهري، مخ.492طب، ورقة 4).

*** طرق العلاج:**

حاز الأطباء على **ثقة** ورعاية سلاطين المماليك، ولجأوا إليهم في أمورهم الصحية، وقربوا أكثر من طبيب منهم، كابن النفيس، ابن أبي أصيبعة، السديد الدمياطي، ابن المغربي، وغيرهم، وشجعوهم علي إزدهار صناعة الطب، وبرعوا فيها لدرجة أن سافر أحدهم لعلاج السلطان العثماني **بايزيد الأول(791-796هـ/1389-1393م)** زمن السلطان برقوق، وفي الداخل تصدوا لعلاج السلاطين والأمراء أولاً، ثم الرعية بعد ذلك، **وعن أهمية الطب يقول ابن خلدون:" صناعة الطب** تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، لحفظ الصحة عليه، أو لشفائه من المرض بالأدوية والأغذية"(ابن خلدون،1996م، ص.917)، **ويضيف:" وفي حالة الإصابة بالمرض،** يلجأ الناس إلى الأطباء للعلاج والتداوي، ويتوسلوا بذلك بعدة وسائل، وفقاً لنوع المرض، فهناك أمراض تتطلب **الدهان،** وأخرى تستلزم تعاطي أنواع مختلفة من الأدوية المركبة أو المفردة، وبعضها يعالج بالأعشاب النباتية والحشائش، أو

بالجراحة.(صبره،1990م، ص.60)، **وقد أفادت** بعض المصادر "التاريخية" المعاصرة ببعض الإشارات لبعض طرق العلاج والتداوي، "سواء بالأدوية أو الأغذية" **والتي انحصرت في:**

- **التشديد على شرب لبن الإبل،** الذي رأوا فيه أنه يبرأ من علة الطاعون.(Dols,W.D ,p.79).
- **قيام كثير** من المعاصرين باستخدام **البنفسج** كدهان يدهن به الجسم كله لما له من فائدة توصلوا إليها من خلال خبرتهم اليومية.(السيوطي، مخ. كمبريدج(8) 172 OR، الورقات 88-89).
- **استعمال وشم** روائح **الطيب** كوسيلة من وسائل علاج الطاعون، ومن بينها: ماء الورد الذي يدهن به الإنسان نفسه وخلف أذنه وتحت إبطه وصدره، كما يستخدم **طيب الصندل،** ويبخر بدنه بالعود أو العنبر أو قشر الرمان بعد خلطه بالخل. لما له من طبيعة قلوية يخلق بيئة غير صالحة لتكاثر البكتريا المسببة لمرض الطاعون، ويعمل على خفض الحرارة.(كتخدا، مخ. رقم31141، ورقة 4 أ، ب) فإنه ينفع من الوباء، وفي فوائده قال ابن الوردي، المؤرخ والشاعر.(ت 749هـ/1349م).(الزركلي، 1969م، ج5، ص. 228)**:**

يقولون شم الخل في زمن الوبا وفاقاً لما قال الأطباء يا خلي
فإن قلت الطاعون تسطو على الورى يقولون: نعم أسطو وأنفك في الخل - بحر الطويل

- **الإكثار** من تناول أنواع محددة من الفاكهة، من شأنها علاج الطاعون، مثل البطيخ الصيفي، الكمثرى، الرمان، لب القرع.
- **الإقبال** على تناول النباتات مثل "السكر"، وأنواع العطارة وبخاصة "بذر الرجلة" لعلاج الطاعون.

وهكذا،، لم يستسلم المصريون في عصري المماليك، لدفع الطاعون عنهم تلقائياً، بل حاولوا - قدر استطاعتهم- علاجه بما تيسر لهم من **أساليب طبية** حتى لو كانت بسيطة وساذجة- كما رأي البعض- ودليلنا على ذلك ما ذكره ابن تغري بردي، في معرض حديثه عن طاعون سنة 833هـ/1429م، حينما قال:" ومشت الأطباء والجرائحية إلى المرضى".(ابن تغري بردي،1952م، ج14، ص.177)، و**بوجه عام،** كان العلاج في العصر المملوكي، يتم عادة في البيمارستانات بالمجان- دون مقابل مادي، بالإضافة إلى إمدادهم بالأدوية اللازمة للعلاج. (صبره،1990م، ص.141).

*** <u>النتائج المترتبة على حدوث الطواعين والأوبئة:</u>**

تأثر المجتمع المصري تأثراً بالغاً، لحدوث هذه الكارثة الطبيعية، وانتشارها وتكرار حدوثها في سنوات عديدة، فحقيقة الأمر أن هذه الكارثة ترتب عليها نتائج عدة خطيرة، في كافة المستويات داخل المجتمع المصري، وتنوعت ما بين نتائج سياسية واقتصادية واجتماعية، **نعرض لها فيما يلي:**

<u>أولاً:</u> النتائج السياسية:

- أظهرت كارثة الطاعون، ضعف وقصور السلطة الحاكمة عن للتصدي لها، أو علاجها، لتفادي وتقليل الخسائر المادية والبشرية.
- كشفت طريقة مواجهة هذه الكوارث، عن قصور في التوعية المنظمة، وقصور في إدارة الأزمة، واتخاذ الإجراء الحاسم لمواجهة الكارثة وعلاجها.
- سعي بعض السلاطين – في نطاق محدود- في رفع المعاناة عن الرعية، بمحاولات **عدة منها:**

(1)- إظهار العدل في الرعية، وتخفيف المغارم، برفع الضرائب المستحقة عليهم في أحيان، وتقليل قيمتها في أحيان أخرى.

(2)- صدرو أوامر سلطانية بمنع النقباء والحجاب من أمام أبواب الأمراء وأرباب الوظائف الكبرى، ومثال ذلك ما حدث في عهد الغوري عام919هـ/1513م.

(3)- المشاركة في تجهيز وصناعة النعوش، وزيادة عددها لحمل الموتى من المماليك السلطانية.
(4)- تفرقة الأقاطيع من اللحوم وغيرها للرعية قدوة بكبار الصحابة الأوائل من المسلمين.
(5)- اعتاد البعض من سلاطين المماليك في مواجهة "الوباء والطاعون" على نهج طرق غير علمية قائمة على السحر والخرافات والشعوذة مثل لبس خواتم الياقوت الأحمر لمنع الإصابة بالطاعون!!.

- **اعتاد أغلب** الأمراء المماليك، وبخاصة الكبار على عدم المواجهة، والهروب نحو الصحراء، والجبال وبخاصة جبل الطور، كواحدة من وسائل المواجهة.

ثانياً: النتائج الصحية:

- **تمثلت** الفاكهة المعالجة للطاعون في: البطيخ الصيفي، وقيل البطيخ البرلس، الكمثرى، الرمان، لب القرع، وتمثلت النباتات في: نبات السكر، ودهن نبات البنفسج، وتمثلت نباتات العطارة **في** بذر الرجلة.
- **ارتبط كثرة الموت،** بالإكثار من بناء المغاسل لتجهيز وتكفين الموتى، فشارك الأمراء المماليك بأموالهم في بناء هذه المغاسل على سبيل الصدقة، لوجه الله تعالى، ومثال ذلك ما حدث في طاعون عام 873هـ/1468م، وقيام الأمير يشبك الدوادار الكبير ببناء مغسل بالقرب من مدرسة السلطان حسن، " تحمل إليه الطرحاء من الموتى، فيكفنهم ويخرجهم ويدفنهم، ويصرف عليهم من ماله، فحصل للناس بذلك غاية الرفق في تلك الأيام".(ابن إياس، 1975م، ج3، ص.28)
- **تنوعت** وسائل علاج الطاعون بين أكثر من وسيلة، ومنها: الأدوية والأشربة في البيمارستانات، والعلاج في المنازل بتناول أنواع الفاكهة والنباتات ونباتات العطارة المعالجة للطاعون.
- **زيادة عدد الحوانيت** المعدة لإطلاق الموتى، وتجهيزها بما تحتاج إليه من مستلزمات كالتوابيت والنعوش لحمل الموتى، ودفنهم.
- **أظهر تكرار** حدوث هذا المرض وانتشاره قصوراً في" الطب العلاجي" وبساطة أدواته، وإن كشف عن اجتهاد " مبكر" لرجال الطب في تشخيص الأسباب العلمية الحقيقية وراء حدوث هذا المرض.

ثالثا: النتائج الاقتصادية:

- **إصابة المجتمع المصري** بحالة عامة من الكساد الاقتصادي متمثلاً في تعطيل الحركة الإنتاجية، والركود التجاري نتيجة لتوقف حركة البيع والشراء في الأسواق بوجه عام في أغلب السلع، وإغلاق الأسواق في أحيان أخرى، وتعطيل المحال التجارية في أحيان ثالثة.
- **وجود حالة من الغلاء الاقتصادي،** وبخاصة في الأسعار، فوجدت حالة من ارتفاع الأسعار في أثمان مستلزمات علاج الطاعون من أدوية، وفاكهة، وثياب الكفن، والأمثلة على ذلك عديدة، منها:

مثال(1): الإكثار من شراء وتناول الفاكهة المعالجة للطاعون أدى إلى ارتفاع ثمن أسعارها، ومثال ذلك ما حدث في طاعون عام 897هـ/1491م**"بيعت الكمثرى كل رطل بأشرفين ولا توجد، وفي أحيان أخرى أبيعت الكمثراية الواحدة بأثنى عشر نصف"**.(ابن إياس، 1975م، ج3، ص. 286).

مثال(2): أدت كثرة الموتي، وكثرة ضحايا"الطاعون" إلى كثرة الطلب على ثياب الكفن، وبخاصة "البعلبكي"، وهو قماش قطني يصنع منه الكفن.(الصيرفي، 1970م، ج4، ص.214-215. ليو الأفريقي،1983م، ص.158)، مما أدي إلى قلة وجودها، وارتفاع ثمنها، مما دفع بالناس إلى استخدام الخام والملحم، كثياب للكفن، كما حدث في طاعون عام 897هـ.**(** ابن إياس،1975م، ج3، ص. 286**).**

مثال(3): الارتفاع الحاد في أسعار شراب الأدوية، وما يحتاج إليه المرضى من سلع، فيقول ابن إياس في طاعون 796هـ: بلغ سعر**"القدح من لب القرع 100درهم، والويبة من بذر الرجلة بلغت 70 درهم"**.(ابن إياس،1975م، ج1، ق1، ص. 565).

- **وجود حالة من الجدب الاقتصادي، يصاحبه** انخفاض في القوة الشرائية للعملة، بحيث يتوفر المال، ولا يوجد ما يشتريه الفرد به، **حيث عز وجود** أنواع الفاكهة والنباتات والعطارة المعالجة من كثرة الطلب عليها، ومثال ذلك: البطيخ الصيفي، الكمثرى، الرمان، بذر الرجلة، السكر.
- تحسن الوضع المادي للعمال والصناع، عندما تناقص عددهم كثيراً، بمعنى أن نقص الأيدي العاملة نتيجة الموت أدى إلى ارتفاع الأجور.(المقريزي،1934م، ج2، ق3، ص.787؛ آشتور، 1985م، ص.411).
- **وعلى مستوى التركيب الاجتماعي، ظهر التجار** كقوة اجتماعية ومادية مؤثرة، فقد نجحوا في تحقيق أرباح خيالية من التجارة وساعدهم على ذلك ارتفاع أسعار المواد الغذائية، فحازوا بذلك معظم النقد المتداول في الأسواق خاصة الذهب والفضة.
- **شهدت** صيادلة العصور الوسطى، العطارون، ثراءً ورواجا نتيجة بيع الدواء وتركيبات الصيدلانية، فعظم شأنهم ونمت ثرواتهم بسبب ذلك.
- **انخفاض قيمة** ما يملكه الناس من متاع، بحيث تطرح الثياب في الأسواق ولا تجد من يشتريها.
- **تنشيط** حركة صناعة الأخشاب، بكثرة الطلب على صنع النعوش الخاصة بحمل الموتى، ودفنهم.
- **وجود** حالة لدى البعض من الاستغلال والجشع الاقتصادي.
- **انتشار** الجرائم المنافية للشريعة والمجتمع وأعمال اللصوصية.

بوجه عام،، فقد الاقتصاد المملوكي جزءاً كبيراً من إمكانياته، نتيجة للأوبئة والطواعين فأصاب الحياة الاقتصادية بالشلل التام.

رابعا: النتائج الاجتماعية:

- **انتشار** الفناء وكثرة الموتى من أبناء المجتمع المصري، وبخاصة بين الفقراء والمساكين، والغرباء المقيمين في مصر من جراء وقوع الطاعون وانتشاره.
- **خلت** مصر من سكانها" في الريف والحضر"، و**مثال ذلك** ما حدث في القاهرة من إنخفاض كبير في عدد سكانها عقب وباء أيام الأشرف شعبان سنة 776هـ/1374م، واستمر مدة عامين، وتعطلت الحياة، فخلت البيوت من أهلها، والمحال من أصحابها، والأسواق من روادها.
- **حدوث تناقص** "ملحوظ" في أعداد سكان الريف من الفلاحين مما أدى إلى حدوث اضطراب اقتصادي لانعدام الإنتاج الزراعي، وما ترتب على ذلك من ارتفاع في أسعار منتجاته، وكذلك هلاك أعداد كبيرة من الماشية وانعدام إنتاج اللحوم والألبان، وما ترتب عليه من سوء التغذية لدى قطاعات عريضة من السكان، مما أفضى إلى سرعة الوفاة لعدم مقاومة الأمراض.(آشتور،1985م، ص ص. 395-396.).
- **حدوث تغير هام في الخريطة الديموغرافية** للسكان، **أولاً:** في التركيب الديموجرافي، نتيجة كثرة الوفيات من السكان، **وثانياً:** بسبب هجرة العديد من سكان الريف"الفلاحين" إلى المدن التي وفرت لهم حياة أفضل ورعاية صحية أحسن مما كانوا عليه في الريف.
- **أدى التدهور الاقتصادي** إلى انخفاض مستوى معيشة السكان، والتخلي عن العديد من العادات التي كانت متبعة ومنها: الأعياد القومية، المواسم وما يعمل بها من الإحتفالات، كما صدرت الأوامر السلطانية للنساء بمنع ارتداء الملابس الثمينة، مما دفعهن للاستعاضة عنها بملابس الصوف الخشن.(آشتور، 1985م، ص. 395-396).

- حدوث تغير هام في طبقات المجتمع المصري، ومنه حصول أرباب الحرف والصنائع على أقطاعات الجند ودخول عدد كبير من الكتاب وأرباب الوظائف الدينية ضمن أجناد الجيش.(المقريزي، 1934م، ج2، ق3، ص.787، 830).
- الانشغال عن شراء ما اعتاد الناس شراءه في الاحتفالات والأعياد، من حلوى وفاكهة، لتواتر الموت.
- **توقف عمل** مراسم واحتفالات الأفراح والأعراس بين الناس، فلم يعرف أن أحداً عمل فرحاً ولا سمع صوت غناء.(المقريزي،1940م، ص.36؛ عاشور، 1965م، ص351)، والاحتفالات الرسمية أيضا"بوجه عام" مثل وفاء النيل.

خامساً: ترتب على حدوث الطواعين وتكرارها، عدة نتائج هامة على عدة مستويات، **منها**:

على المستوى الثقافي: إغلاق دور العلم، فأصبحت الكتب ينادى عليها بالأحمال فلا تجد من يشتريها، لانشغال الناس بسقائمهم من المرضى". (المقريزي، 1934م، ج2، ق3، ص.772- 773، 778-791).

وعلى المستوي العسكري: عادت الطواعين بأثر سلبي على الناحية العسكرية في المجتمع المصري، فموت أعداد كبيرة من المماليك السلطانية والذين كان يتألف منهم الجيش المملوكي، وهم يمثلون القوة الضاربة به، كما حدث في طواعين 749هـ/1348م،833هـ/1429م.

وعلى المستوى الديني، نشهد سلوكيات خاصة تمثلت في:

- كثرة التردد على المساجد، والدعاء والابتهال لرفع السخط.
- زيادة عدد المصليات للصلاة على الموتى من ضحايا الطاعون.

وعلى مستوى حالة العمران: تأثر العمران في مصر ولا شك بأحداث الطواعين والأوبئة المتكررة على مصر، وبخاصة القوية منها، وجاء هذا الأثر في خراب المدن والقرى، وخلوها من أهلها.

في الختام كلمة موجزة،، كثرت الأوبئة والطواعين على مصر في العصر المملوكي، واشترك جميعها في كونها تحالفت مع ُظلم" الحكام المماليك"، وعبث العربان والمماليك المفسدين"الجلبان"، لطحن جموع المصريين، وعاشت طائفة كبيرة من العامة لا يمكنهم الحصول على قوت يومهم، ولا يجدون ما يستر أجسادهم، **وغالباً،،** ما قصرت الدولة ممثلة في حكامها، بتوفير التدابير الاحترازية، وتطبيق الشفافية مع الرعية، كما يحدث اليوم: من الجدية في التعامل مع الوباء، وسرعة اتخاذ القرار، بتنفيذ وتطبيق الإجراءات الوقائية من العزل الصحي، ومنع التجمعات والزحام، ونشر التوعية الصحية، وإن **قصرت** الرعية فكان ذلك لضيق ذات اليد، وللفقر والجهل، وإن **قصر** الميسورين فكان ذلك للأنانية والطمع في السلطة.

***- نتائج الدراسة:**

- **استخدمت** الدراسة **المنهج الإحصائي** وبلغ مجمل السنوات التي تعرضت فيها مصر للطاعون، نحو ما يقرب من **ثمانية وستين** منهم نحو **ستة وعشرين** سنة خلال العصر البحري الذي بلغ نحو **مائة وست وثلاثين** سنة، ونحو **ثلاثة وأربعون** سنه في العصر الجركسي الذي بلغ نحو مائة وتسع وثلاثين سنة.
- **أثبتت** الدراسة أنه قد زادت نسبة عدد سنوات الطاعون في مصر في العصر الجركسي عن العصر البحري، إلى حد الضعف تقريباً، ولذلك أسبابه من غلبة التفسير الديني وتسليم الشعب المصري بالقضاء والقدر ونقص الوعي الصحي.
- **أوضحت** الدراسة أن **نهضة الطب في مصر خلال العصر المملوكي،** ولكن على الرغم من ذلك ظل الطاعون مرضاً من الامراض المستعصية، ليس له علاج واحد أكيد، بل كثرت الأساليب الوقائية.

- **أبرزت** الدراسة أن هناك عدة عوامل وراء حدوث الطاعون في مصر، ما بين عوامل طبيعية وبشرية، داخلية مرتبطة بمصر في الداخل وحالة الشعب الصحية، ومنها ما ارتبط بعوامل خارجية ومنها انتقال العدوى بالمرض.
- **برهنت الدراسة على سيطرة الفكر الديني** في تحديد أسباب حدوث الطاعون من فساد الحاكم والمحكوم، أو الدولة والرعية على حد سواء، وانتشار الظلم والجور وكثرة المغارم، مفاسد الأخلاق من انتشار الزنا، اللواط، شرب الخمر، أكل الربا.
- **أظهرت الدراسة ارتباط موعد** حدوث الطاعون في مصر بكثرة في فصل الربيع، حيث سيلان الأخلاط، وقلة حدوثه في فصل الشتاء، كما ارتبط حدوثه بشهور بعينها، والغالب عليها أوائل الشهور الهجرية من محرم إلى جمادى الآخرة.
- **حرس السلاطين على نهضة** الطب والأطباء، ومع ذلك، نقصت الخدمات الصحية الموجهة للرعية، فساد الجهل ونقص الوعي الصحي، وجاء اهتمام السلاطين لأنفسهم أولا، ثم الرعية فيما بعد، وخير مثال: السلطان برسباي الذي مات متأثرا بطاعون عام 841هـ، وأصابه مرض في العقل، شككه في أطبائه، فتخلص منهم.
- **أقام** سلاطين المماليك البيمارستانات منذ أوائل العصر المملوكي، وحااولوا الاكثار منها، لكنها سرعان ما اندثرت في العصر المملوكي الثاني، هي ومن سبقها في البناء، ومنها البيمارستان الطولوني، الكافوري، الناصري، المؤيدي.
- **أكثر** سلاطين المماليك من بناء الحمامات كواحدة من دور العلاج، وإن حظت مدينة القاهرة بالنسبة الأكثر منها دون غيرها.
- **عرفت** مصر التمريض في العصر المملوكي، ولكنه لم يكن فناً قائماً بذاته، ومنفصل عن فنون الطب والمداوة كما هو الحال في العصر الحديث، حيث توجد فئة لها مهام محددة تختلف عن مهام الأطباء.
- **عرفت** مصر ما يشبه القوافل الطبية،ومنها ما كان يجوب القري والأصقاع في حال انتشار الأمراض والأوبئة بها في المناطق النائية عن حاضرة السلطنة، والخالية من وجود بيمارستانات.
- **أوضحت** الدراسة أن الدولة ساهمت" قدر المستطاع" وبمؤسساتها الرسمية في رفع العناء والأضرار عن أفراد المجتمع المصري، بأكثر من وسيلة منها: رفع وإبطال جباية الرسوم المستحقة من بيوت الفواحش، والبغاء، وتقديم المساعدات المالية، وتوزيع الصدقات.
- **أوضحت** الدراسة أن من بين التدابير الحكومية السائدة وقتئذ، مساهمة الأمراء المماليك في– حالات قليلة- في رفع البلاء **ببناء المغاسل** لتكفين الموتى، والتصدق على الفقراء.
- **أكدت** الدراسة على أن تعامل المجتمع المصري" حكومة وشعباً" في أغلب الأحيان مع الطاعون على أنه عقاب وسخط من الله لا مرض منتشر.
- **عز التصرف الشعبي من** فئة **الميسورين** من الرعية المصرية، أو التكافل الاجتماعي الذي نشهده الآن أوما يسمي بالمبادرات الشخصية من الرياضيين والإعلاميين، ورجال الأعمال، لمساعدة الفقراء.
- **أوضحت** الدراسة أن من نتائج حدوث الطاعون غلاء الأسعار في مستلزماته من ثياب الكفن ومستلزمات العلاج من فاكهة ونباتات وعطارة.
- **تناولت** الدراسة المنهج الإحصائي والذي أتي بعدة نتائج إحصائية هي:

- **أحصت** الدراسة أن أكثر حالات الإصابة بالطاعون شهدته المدن المصرية والمناطق الحضرية "عامة" والنسبة الأقل كانت من نصيب المناطق الريفية والقروية.

- **نال** الوجه القبلي وبخاصة الصعيد نصيباً قليلاً من أحداث الطاعون طوال العصر المملوكي، في حين نال الوجه البحري نصيب الأسد في عدد ضحايا الطواعين التي دخلت مصر.
- **نالت** مدن العواصم المصرية- القاهرة ومصر- " أقدم عواصم مصر" نصيب الأسد في الإصابة بأحداث الطاعون، وأكبر نسبة لعدد الوفيات، ثم جاءت الإسكندرية بنصيب وافر من أحداث الطاعون.
- **تنوعت** أساليب الدواء والعلاج ما بين: أدوية طبية، ونباتات مثل" السكر" وأعشاب معالجة، وعطارة مثل " بذر الرجلة" وفواكه مثل: البطيخ الصيفي، والكمثري، والرمان.
- **كانت أعلى** نسبة وفيات الطاعون كانت في الشباب والأطفال، ومن بعدهم في المماليك السلطانية، ثم في الجواري والعبيد.
- **يعد** طاعون سنة749هـ/1348م، هو الأول في كثرة عدد الضحايا، ويليه طاعون903هـ/1497م، ثم طاعون 833هـ/1429م، ثم طاعون822هـ/1419م.
- **مثلت** المماليك السلطانية أول فئات الضحايا من حيث كثرة العدد، وتلاهم الأطفال فالشباب، والنساء.
- **يعد** الناصر محمد والأشرف شعبان، من أكثر السلاطين المماليك البحرية الذين شهدت عصورهم طواعين نحو ثلاثة، في حين يعد السلطان المؤيد شيخ، جقمق، برسباي، وقايتباي والغوري أكثر السلاطين المماليك الجراكسة الذين شهدت عصورهم طواعين نحو ثلاثة ويزيد.
- **تكرر** حدوث الطاعون في عامين متتاليين، أكثر من مرة ، مثل: 808-809هـ/1405-1406م، 815-816هـ/1412-1413م، 822-823هـ/1419-1420م، 841-842هـ/1437-1438م، 903-904هـ/1497-1498م، 909-910هـ/1503-1504م، 918-919هـ/1512-1513، 920هـ/1514م.
- **يعد أطول** الطواعين مدة في بقاءه هو طاعون: سنة 749هـ/1348م، فمكث نحو عام كامل، وطاعون سنة 873هـ/1468م مكث **عشرة** شهور، ثم طاعون 671هـ/1272م الذي مكث نحو **ستة** شهور، ثم طاعون 841هـ/1437م حيث مكث **خمسة** شهور، ثم 833هـ/1429م الذي مكث نحو **أربعة** شهور.
- **تعد أعلى** نسبة لوقوع الطواعين كل نصف قرن خلال عصري المماليك فترة القرون الثلاثة لحكمهم، جاءت في المرتبة الأولى: في النصف الأخير من القرن السادس الهجري، وتلاها في المرتبة الثانية: النصف الأول من القرن السابع، ثم في المرتبة الثالثة: النصف الثاني من القرن السابع الهجري.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

- **الأزهري**، مصطفى الدهنة الدمشقي، *رسالة مختصرة في الطاعون*، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم492 طب طلعت، ميكروفيلم رقم 19878، القاهرة، مصر.
- **ابن إياس**، محمد بن أحمد بن إياس،(1975م)، *بدائع الزهور في وقائع الدهور، الطبعة الأولى*، تحقيق: محمد مصطفى، فيسبادن، ألمانيا مطبعة فرانز ستاينر.
- **ابن أيبك**، أبو بكر بن عبد الله،(1960م)، *كنز الدرر وجامع الغرر*،ج9 بعنوان "الدرر الفاخرة في سيرة الملك الناصر"،الطبعة الأولى، تحقيق: هانس روبرت رويمر، القاهرة، مصر، مكتبة الخانجي.
- **ابن بطوطة**، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم،(1969م)، *رحلة ابن بطوطة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"*، الطبعة الأولى، باريس، فرنسا.
- **ابن بهادر**، محمد بن محمد بن بهادر، *فتوح النصر في تاريخ ملوك مصر*، مخطوط دار الكتب تحت رقم2399، القاهرة، مصر.
- **ابن تغري بردي**، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، (1930م)، *منتخبات من حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور*، حررها: وليام ببر، القاهرة، مصر، عالم الكتب.
- **.....، 1929-1952م**، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، القاهر، مصر، دار الكتب المصرية.
- **ابن حبيب**، الحسن بن عمر، *درة الأسلاك في دولة الأتراك*، مخطوط دار الكتب تحت رقم6170ح، القاهرة، مصر.
- **ابن حجر العسقلاني**، شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، (1969م)، *إنباء الغمر بأبناء العمر، الطبعة الأولى*، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- **.....، (1996م)**، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، الطبعة الأولى، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عبد الله بن باز، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر.
- **الحموي**، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (1995م)، معجم البلدان، بيروت، لبنان، دار صادر.
- **ابن خلدون**، ولي الدين عبد الرحمن، (1930م)، *العبر وديوان المبتدأ والخبر" المقدمة"*، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، دار الفكر.
- **ابن سينا**، أبو علي الحسين بن عبد الله،(1993م)، *القانون في الطب، الطبعة الأولى*، تحقيق د . إدوار القش، د.علي زيعور، بيروت، لبنان، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر.
- **السخاوي**، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن،**(2002م)**، *التبر المسبوك في ذيل السلوك*، تحقيق: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، مراجعة سعيد عاشور، القاهرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية.
- **السيوطي**، جلال الدين عبد الرحمن، *مخطوط ما رواه الواعون في أخبار الطاعون*، مخطوط كمبريدج(8) R172.
- **.....**،(1997م)، *حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، الطبعة الأولى*، وضع حواشيه خليل المنصور، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.

- **أبو شامة**، شهاب الدين عبدالرحمن بن إسماعيل،**(2002م)**، *الذيل في أخبار الدولتين النورية والصلاحية "تراجم رجال القرنين السادس والسابع"*، الطبعة الأولى، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- **الصيرفي**، علي بن داوو،(1970م)، *نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، الطبعة الأولى*، تحقيق: د.حسن حبشي، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.
- **العيني**، بدر الدين محمود، *عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان*، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم 1584 تاريخ، القاهرة، مصر.
- **.....**، (1989م)، *عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان، الطبعة الأولى*، ج3، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- .....، (1989م)، *عقد الجمان في تواريخ أهل الزمان، الطبعة الأولى*، ج4، تحقيق: د .عبد الرازق الطنطاوي القرموط، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **.....**، (1998م)، السيف المهند في سيرة الملك المؤيد شيخ المحمودي، الطبعة الأولى، حققه وقدم له أ .فهيم محمد علوي شلتوت، القاهرة، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية.
- **أبو الفدا**، عماد الدين إسماعيل،(د.ت)، *المختصر في أخبار البشر، الطبعة الأولى*، القاهرة، مصر، المطبعة الحسينية.
- **ابن الفرات**، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم،**(1942م)**، *تاريخ ابن الفرات، الطبعة الأولى*، حققه: د.قسطنطين رزيق، بيروت، لبنان، المطبعة الأمريكانية.
- **الفيروزآبادي**، محمد بن يعقوب،(1952م)، *القاموس المحيط*، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مكتبة مصطفى البابي.
- **ابن قاضي شهبه**، تقي الدين أبو بكر،**(1977م)**، *تاريخ ابن قاضي شهبه*، الطبعة الأولى، حققه: عدنان درويش، دمشق، سوريا.
- **ابن القف المسيحي**، أبو الفرج ابن موفق الدين يعقوب بن إسحق،(1953م)، *العمدة الإصلاح في صناعة الجراح*، الطبعة الأولى، الدكن، الهند، دار نشر حيدر آباد.
- **ابن قيم الجوزية**، شمس الدين محمد بن أبو بكر، (1935م)، *زاد المعاد*، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، مؤسسة الرسالة.
- **.....**، (2004م)، *الطب النبوي*، الطبعة الأولى، تحقيق د.حامد أحمد الطاهر، القاهرة، مصر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع.
- **كتخدا، مصطفى**، *رسالة فيما ينفع من الوباء والطاعون*، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم31141 طب، استانبول، تركيا.
- **ابن كثير**، الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي،(2006م)، *البداية والنهاية، الطبعة الأولى*، اعتنى به: د.عبد الحميد هنداوي، بيروت، لبنان، المكتبة العصرية.
- **ليو الأفريقي**، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، (1983م)، *وصف إفريقيا*، الطبعة الثانية، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- **المقريزي**، تقي الدين أحمد بن علي،(1940م)، *إغاثة الأمة بكشف الغمة، الطبعة الأولى*، تحقيق محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، القاهرة، مصر، لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- **.....**،(1973م)، *اتعاظ الحنفا بذكر الأئمة الخلفا، الطبعة الأولى*، تحقيق: د.محمد حلمي محمد أحمد، القاهرة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية" لجنة إحياء التراث الإسلامي".

- .....،(1934م)، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، ج1،2، الطبعة الأولى، صححه محمد مصطفى زيادة، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.
- .....،(1934م)، *السلوك لمعرفة دول الملوك*، ج3،4، الطبعة الأولى، تحقيق د.سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.
- .....،(1991م)، *المقفى الكبير*، الطبعة الأولى، تحقيق محمد اليعلاوي، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- **المنصوري، بيبرس،**(1993م)، *مختار الأخبار "تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ"*، الطبعة الأولى، حققه ووضع فهارسه د.عبد الحميد صالح حمدان، القاهرة، مصر، الدار المصرية اللبنانية.
- **ابن منظور**، جمال الدين محمد بن مكرم،(1972م)، *لسان العرب*، الطبعة الأولى، قدم له عبد الله العلايلي، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، نديم مرعشلي، بيروت، لبنان، دار لسان العرب.
- **الأنطاكي**، يحيى بن سعيد،(1990مم)، *تاريخ بن سعيد، الطبعة الأولى*، نشره: لويس شيخو، طرابلس، لبنان، دار جروس برس.
- **ابن النفيس**، علاء الدين بن أبو العزم،(2002م)، المختار في الأغذية، الطبعة الأولى، شرح: يوسف زيدان، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، المجمع الثقافي.
- **ابن الوردي**، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد،(1258هـ/1868م)، *تاريخ ابن الوردي، الطبعة الأولى*، القاهرة، مصر، دار الكتب المصرية.

ثانياً: المراجع العربية والمعربة:

- **آشتور**، (1985م)، *التاريخ الاقتصادي للشرق الأوسط في العصور الوسطى*، الطبعة الأولى، تعريب: عبد الهادي عبلة، دمشق، سوريا، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع.
- **جوهر، محمد عبد الحميد،**(1950م)، *الطب في نصف قرن*، القاهرة، مصر، مكتبة النهضة المصرية.
- **حسين، محمد كامل**، (د.ت)، *الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب*، الطبعة الأولى، طرابلس، ليبيا، وزارة الثقافة.
- **حبشي، حسن،**(1964م)، *الاحتكار المملوكي وعلاقته بالحالة الصحية*، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد9، ص146، 164.
- **ابن حبيب**، الحسن بن عمر، (1976م)، *تذكرة النبيه*، حققه: محمد محمد أمين، راجعه د.سعيد عاشور، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، مطبعة دار الكتب المصرية.
- **زكي، حافظ،**(1922م)، دائرة المعارف الطبية الحديثة، *أهم الطرق العلمية في علاج جميع الأمراض، الطبعة الأولى*، القاهرة، مصر، المطبعة العصرية.
- **الزركلي**، خير الدين، (1969م)، *الأعلام "قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين"*، الطبعة الثالثة، بيروت، لبنان، دار الملايين للنشر.
- **سليمان، ناصر أحمد إبراهيم**، 1997م)، *المجاعات والأوبئة في مصر في القرن السابع عشر*، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب – جامعة القاهرة، القاهرة، مصر.
- **صبره، نبيلة محمد أحمد،(1990م)**، *الطب والخدمات الطبية في الشام والعراق من القرن الأول الهجري إلى القرن التاسع الهجري*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة الإسكندرية، مصر.

- **عاشور، سعيد عبد الفتاح،**(1965م)، *العصر المماليكي في مصر والشام*، الطبعة الأولى، القاهرة، الأنجلو المصرية.
- **عبد الرازق، أحمد،**(1979م)، *البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك*، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- **غازي، محمد السيد أحمد،(2007م)**، *الأحوال الصحية والطبية في مصر والشام عصر الدولة الأيوبية*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب – جامعة طنطا، طنطا، مصر.
- **قاسم، عبده قاسم،** (1983م)، *دراسات في تاريخ مصر الاجتماعي"عصر سلاطين المماليك"*، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، دار المعارف.
- **مجمع اللغة العربية،**(2003م)، *المعجم الوجيز*، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، وزارة التربية والتعليم.
- **محمد، محمود قاسم، (1987م)**، *الطب عند العرب والمسلمين*، الطبعة الأولى، جدة، السعودية، الدار السعودية.
- **المصري، فوزي السيد،** (1989م)، *تاريخ الأوبئة في مصر*، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، طنطا، مصر.
- **مصطفى،** شاكر،(1990م)، *التاريخ العربي والمؤرخون"دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام"*، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين.
- **هنتس، فالتر،**(1970م)، *المكاييل والأوزان الإسلامية وما يقابلها في النظام المتري، الطبعة الأولى*، ترجمة د.كامل العسلي، الأردن، منشورات الجامعة الأردنية.
- **واتس، شلدون،** (2010م)، *الأوبئة والتاريخ" المرض والقوة والإمبريالية"*، الطبعة الأولى، ترجمة وتقديم: أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة: عماد صبحي، تحرير: عايدي علي جمعه، القاهرة، مصر، المركز القومي للترجمة.

ثالثاً: المراجع الأجنبية :

- Dols, The Black Death in The Middle East, (w.d).
- Elmishad, Abla, (1974), Manual of practical Microbiology, Cairo,Egypt.

sources and references:

First: Arab sources :

- Al-Azhari, Mustafa Al-Dahna Al-Dimashqi, A Brief Treatise on the Plague, Manuscript in the Egyptian Book House, No. 492, Talaat Tab, Microfilm No. 19878, Cairo, Egypt.
- Ibn Iyas, Muhammad bin Ahmed bin Iyas, (1975 AD), Badaa'i al-Zuhur fi Waqi'at al-Ahmar, first edition, edited by: Muhammad Mustafa, Wiesbaden, Germany, Franz Steiner Press.
- Ibn Aybak, Abu Bakr Ibn Abdullah, (1960 AD), Treasure of Durar and the Mosque of Al-Gharar, c9 entitled "The Luxurious pearls in the biography of King Al-Nasser", first edition, edited by: Hans Robert Roemer, Cairo, Egypt, Al-Khanji Library.
- Ibn Battuta, Muhammad bin Abdullah bin Muhammad bin Ibrahim, (1969 AD), The Journey of Ibn Battuta, "A Masterpiece of Principals in the Strange Things and Wonders of Travel", First Edition, Paris, France.
- Ibn Bahadur, Muhammad Ibn Muhammad Ibn Bahadur, Fattouh Al-Nasr in the History of the Kings of Egypt, Dar Al-Kutub Manuscript under No. 2399, Cairo, Egypt.
- Ibn Taghri Bardi, Abu al-Mahasin Jamal al-Din Yusef, (1930 AD), teams from the events of the ages over days and months, edited by: William Pepper, Cairo, Egypt, The World of Books.
- ....., 1929-1952 AD, the rising stars in the kings of Egypt and Cairo, Cairo, Egypt, the Egyptian House of Books.
- Ibn Habib, Al-Hassan Ibn Omar, Durrat Al-Asilak in the State of the Turks, Dar Al-Kutub Manuscript under No. 6170 H, Cairo, Egypt.
- Ibn Hajar al-Asqalani, Shihab al-Din Abu al-Fadl Ahmad bin Ali, (1969 AD), the news of immersion in the sons of al-Omar, first edition, Cairo, Egypt, Supreme Council for Islamic Affairs.
- ....., (1996 AD), Fath Al-Bari with the explanation of Sahih Al-Bukhari, first edition, edited by: Sheikh Abdul Aziz Abdullah Bin Baz, Beirut, Lebanon, Dar Al-Fikr for Printing and Publishing.
- Al-Hamwi, Abu Abdullah Yaqout bin Abdullah, (1995 AD), Dictionary of Countries, Beirut, Lebanon, Dar Sader.
- Ibn Khaldoun, Wali al-Din Abd al-Rahman, (1930 AD), Al-Abr, Divan Al-Mubadaba and Al-Khobar "Introduction", second edition, Beirut, Lebanon, Dar Al-Fikr.

- Ibn Sina, Abu Ali al-Husayn bin Abdullah, (1993 AD), Law in Medicine, first edition, edited by Dr. Edouar Al-Qash, Dr. Ali Ziour, Beirut, Lebanon, Ezz El-Din Foundation for Printing and Publishing.
- Al-Sakhawi, Shams al-Din Muhammad Ibn Abd al-Rahman, (2002 AD), the dust molten at the tail of the behavior, edited by: Nagwa Mustafa Kamel, Labiba Ibrahim Mustafa, review by Said Ashour, Cairo, National Library and Archives Press.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din Abd al-Rahman, Manuscript of what was narrated by the conscious in the news of the plague, Cambridge Manuscript (8) R172.
- ..... ,, (1997 AD), Hassan Lecture on News of Egypt and Cairo, first edition, annotated by Khalil Al-Mansour, Beirut, Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.
- Abu Shama, Shihab al-Din Abd al-Rahman bin Ismail, (2002 AD), the tail in the news of the two states, al-Nuriyya and al-Salih, "Tarajimat of men of the sixth and seventh centuries", first edition, edited by: Ibrahim Shams al-Din, Beirut, Lebanon, Dar al-Kutub al-'Ilma.
- Al-Sayrafi, Ali Bin Daw, (1970 AD), A Walk of Souls and Bodies in the History of Time, First Edition, edited by: Dr. Hassan Habashi, Cairo, Egypt, Dar Al-Kutub Al-Masrya.
- Al-Ayni, Badr Al-Din Mahmoud, Al-Juman in the History of the People of Time, manuscript in the Egyptian House of Books, No. 1584 History, Cairo, Egypt.
- ……., (1989 AD), The Book of Juman in the History of the People of Time, First Edition, Part 3, edited by: Muhammad Muhammad Amin, Cairo, Egypt, Egyptian General Book Authority.
- ....., (1989 AD), The Decade of Juman in the History of the People of Time, first edition, Part 4, edited by: Dr. Abdel Razek Al-Tantawy Al-Qarmout, Cairo, Egypt, the Egyptian General Book Authority.
- ....., (1998 AD), the sword muhanned in the biography of Al-Malik Al-Muayyad Sheikh Al-Mahmoudi, first edition, which was presented by Prof. Fahim Muhammad Alawi Shaltout, Cairo, Egypt, the Egyptian Library House Press.
- Abu al-Feda, Imad al-Din Ismail, (dt), al-Muqtasar fi Akhbar al-Bishr, first edition, Cairo, Egypt, the Husseinieh Press.
- Ibn Al-Furat, Nasir al-Din Muhammad Ibn Abd al-Rahim, (1942 AD), History of Ibn al-Furat, first edition, edited by: Dr. Konstantin Riziq, Beirut, Lebanon, The American Press.

- Al-Fayrouzabadi, Muhammad Ibn Ya`qub, (1952 AD), Al-Qamoos Al Muheet, First Edition, Cairo, Egypt, Mustafa Al-Babi Library.
- Ibn Qadi Shahba, Taqi al-Din Abu Bakr, (1977 AD), History of Ibn Qadi Shahba, first edition, verified by: Adnan Darwish, Damascus, Syria.
- Ibn al-Qaf al-Christian, Abu al-Faraj Ibn Muwaffaq al-Din Yaqoub bin Ishaq, (1953 CE), al-Umda al-Islah in the manufacture of wounds, first edition, Deccan, India, Hyderabad Publishing House.
- Ibn Qayyim al-Jawziyyah, Shams al-Din Muhammad ibn Abu Bakr, (1935 AD), Zad al-Ma'ad, first edition, edited by: Muhammad Ali Subaih, Cairo, Egypt, The Risalah Foundation.
- ....., (2004 AD), The Prophetic Medicine, First Edition, edited by Dr. Hamed Ahmed Al-Taher, Cairo, Egypt, The Cultural Bureau for Publishing and Distribution.
- Katkhda, Mustafa, Letter on What Benefits from the Epidemic and Plague, manuscript in the Egyptian Book House, under No. 31141 Medicine, Istanbul, Turkey.
- Ibn Kathir, al-Hafiz Abu al-Fida Ibn Kathir al-Dimashqi, (2006 AD), The Beginning and the End, first edition, taken care of by: Dr. Abdel-Hamid Hindawi, Beirut, Lebanon, Modern Library.

- Leo Al-Afriqi, Al-Hassan Bin Muhammad Al-Wazzan Al-Fassi, (1983 AD), Description of Africa, second edition, translated by: Muhammad Hajji, Muhammad Al-Akhdar, Beirut, Lebanon, Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Al-Maqrizi, Taqi al-Din Ahmad bin Ali, (1940 AD), Relief of the Nation by Uncovering the Sorrow, First Edition, Edited by Muhammad Mustafa Ziada, Jamal al-Din al-Shayal, Cairo, Egypt, Committee of Authorship, Translation and Publishing.
- ....., (1973 A.D.), Al-Hanafah Asylum to Remembrance of the Imams Al-Khalafah, First Edition, edited by: Dr. Muhammad Helmy Muhammad Ahmad, Cairo. Egypt, the Supreme Council for Islamic Affairs, "Committee for the Revival of Islamic Heritage."
- ....., (1934 A.D.), The Conduct of Knowing the Countries of Kings, Part 1 & 2, first edition, edited by Muhammad Mustafa Ziada, Cairo, Egypt, The Egyptian Library.
- ....., (1934 A.D.), The Conduct of Knowing the Countries of Kings, Volume 4,3, First Edition, edited by Dr. Said Abdel Fattah Ashour, Cairo, Egypt, The Egyptian Library.

- ....., (1991 AD), Al-Maqqaf al-Kabir, first edition, edited by Muhammad Al-Yalawi, Beirut, Lebanon, Dar Al-Gharb Al-Islami.
- Al-Mansouri, Baybars, (1993 AD), Mukhtar Al-Akhbar "History of the Ayyubid State and the Maritime Mamluk State Up to the Year 702 AH", first edition, edited and compiled by Dr. Abdel-Hamid Saleh Hamdan, Cairo, Egypt, the Egyptian Lebanese House.
- Ibn Manzur, Jamal al-Din Muhammad Ibn Makram, (1972 AD), Lisan al-Arab, first edition, presented to him by Abdullah Al-Alayli, prepared and classified by: Youssef Khayat, Nadim Maraachli, Beirut, Lebanon, House of Lisan Al Arab.
- Al-Antaki, Yahya Bin Said, (1990 mm), Tareekh Bin Said, first edition, published by: Louis Sheikho, Tripoli, Lebanon, Gross Press.
- Ibn Al-Nafees, Ala Al-Din Bin Abu Al-Azm, (2002 AD), Al-Mukhtar in Food, First Edition, Explanation: Yusef Zaidan, Abu Dhabi, United Arab Emirates, The Cultural Foundation.
- Ibn al-Wardi, Omar bin Muzaffar bin Omar bin Muhammad, (1258 AH / 1868 AD), Tarikh Ibn al-Wardi, first edition, Cairo, Egypt, The Egyptian House of Books.

second: Arab and Arabized References:

- Ashtor, (1985 AD), The Economic History of the Middle East in the Middle Ages, First Edition, Arabization: Abd al-Hadi Abla, Damascus, Syria, Qutaybah House for Printing, Publishing and Distribution.
- Gohar, Muhammad Abdel Hamid, (1950 AD), Medicine in Half a Century, Cairo, Egypt, The Egyptian Renaissance Library.
- Hussein, Muhammad Kamel, (d. T), The Brief History of Medicine and Pharmacy for the Arabs, First Edition, Tripoli, Libya, Ministry of Culture.
- Habashi, Hassan, (1964 AD), The Mamluk Monopoly and its Relationship to Health Status, Journal of the Faculty of Arts, Ain Shams University, Volume 9, pp. 146, 164.
- Ibn Habib, Al-Hassan Bin Omar, (1976 AD), Tadhkira Al Nabih, verified by: Muhammad Muhammad Amin, revised by Dr. Said Ashour, First Edition, Cairo, Egypt, Egyptian Book House Press.
- Zaki, Hafez, (1922 AD), Department of Modern Medical Knowledge, The Most Important Scientific Methods in Treating All Diseases, First Edition, Cairo, Egypt, The Modern Press.

- Al-Zarkali, Khair Al-Din, (1969 AD), Al-Alam "Dictionary of translations of the most famous Arab, Arabist and Orientalist men and women", third edition, Beirut, Lebanon, House of millions for publication.
- Soliman, Nasser Ahmed Ibrahim, 1997 AD), Famines and Epidemics in Egypt in the Seventeenth Century, an unpublished MA Thesis, Faculty of Arts - Cairo University, Cairo, Egypt.
- Sabra, Nabila Muhammad Ahmad, (1990 AD), Medicine and Medical Services in the Levant and Iraq from the first century AH to the ninth century AH, unpublished PhD thesis, Faculty of Arts - Alexandria University, Egypt.
- Ashour, Said Abdel Fattah, (1965 AD), The Mamluk Era in Egypt and the Levant, First Edition, Cairo, Anglo-Egyptian.
- Abdel Razek, Ahmad, (1979 AD), Al-Bathal and Bartala in the Time of the Mamluk Sultans, First Edition, Cairo, Egypt, The Egyptian General Book Authority.
- Ghazi, Muhammad Al-Sayed Ahmed, (2007 AD), Health and Medical Conditions in Egypt and the Levant Era of the Ayyubid State, unpublished PhD thesis, Faculty of Arts - Tanta University, Tanta, Egypt.
- Qasim, Abdo Qasim, (1983 AD), Studies in the Social History of Egypt, "The Era of the Mamluk Sultans", First Edition, Cairo, Egypt, Dar Al Ma'aref.
- The Academy of the Arabic Language, (2003 AD), The Brief Dictionary, First Edition, Cairo, Egypt, Ministry of Education.
- Muhammad, Mahmoud Qasim, (1987AD), Medicine for Arabs and Muslims, First Edition, Jeddah, Saudi Arabia, Saudi House.
- Al-Masry, Fawzi Al-Sayed, (1989 AD), History of Epidemiology in Egypt, unpublished PhD thesis, Faculty of Arts, Tanta University, Tanta, Egypt.
- Mustafa, Shaker, (1990 AD), Arab History and Historians, "A Study in the Development of the Science of History and the Knowledge of Its Men in Islam", First Edition, Beirut, Lebanon, House of Knowledge of the Millions.
- Hunts, Walter, (1970AD), Islamic Weights and Measures and Their Equivalent in the Metric System, First Edition, translated by Dr. Kamel Al-Asali, Jordan, University of Jordan Publications.

- Watts, Sheldon, (2010), Epidemics and History, "Disease, Power and Imperialism", first edition, translated and presented by: Ahmed Mahmoud Abdel-Gawad, revised by: Imad Sobhi, edited by: Aydi Ali Juma, Cairo, Egypt, National Center for Translation.

The absence of role of Men of Power and People in Confronting Epidemic of plague Crises in Egypt during the Mamlouks Reigns - Analytical study " 648-923 AH/1250-1517AD "

Eman Moustafa Abdel-Azim
Islamic history professor Department of History
Faculty of Education - Ain Shams Universty

Abstract:

In the Mamluk era, Egypt has been coeval with several kinds of both natural and human tribulations and adversities, some of which are in crunch crisis - especially the economic - and some are represented in the oppression, tyranny and injustice rulers and governors or the occurrence of natural disasters, , Egyptian people suffered from multiple shapes of hardship and adversity many and much, and pay the result alone without the other. Among these natural disasters, and grinding crises, the plague " the yard disease" it was a case of crisis and adversity in the Egyptian society, and aggression against the Egyptian society, merciless case, and ugly shape of annihilation and destruction, a case of the spread of the deadly disease which harvest lot and exhaust thousands of people, and concludes with the end or in the yard, many of the dead, and their homes and houses became devoid of its people, high prices or in another way life stopped in general.

Commenting on this phenomenon, the yard disease "plague", this research study will take place in an attempt to reveal the nature not only of this phenomenon, but also the natural disaster which struck Egypt in the Mamluk era, and its people suffered from for many years, and what the reasons of its occurrence, what the ways of response to it are, how to treat them for the state and the people, and the consequences of its occurrence that have had adverse effects on the Egyptian society and its construction during the Mamluk era.

Key words:

Crises – The men of Power- plague- Epidemic – Methods Prevention – Confrontion-